أضواء على

السيرة العادلة والظالمة

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

أضواء على

السيّئة العادلة والظالمة

مؤسسة الإمام المهدي
لاحياء تراث أهل البيت

١

أضواء على السيرة العادلة والظالمة

تأليف
باقر شريف القرشي

شبكة الفكر
alfeker.net

تحقيق
مهدي باقر القرشي

أضواء على

السيّدة العادلة والظالمة

تأليف : نادر شريف الجعفري

تحقيق : مهدي باقر القرشي

الناشر : ..... ماهر

المطبعة : ..... ستاره

الطبعة الأولى : ..... ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

عدد النسخ : ..... ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

ISBN 978 _ 600 _ 5995 _ 16 _ 9

٩ ـ ١٦ ـ ٥٩٩٥ ـ ٦٠٠ ـ ٩٧٨ ردمك

النجف الأشرف ـ نهاية شارع الرسول عليه السلام

www. hassanlib.com

البريد الالكتروني hasanlib @ yahoo.com

٠٠٩٦٤ ٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠

كلمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

السياسة الظالمة منذ العصور الأولى إلى يوم الناس هذا مصدر للفتنة والقتل والدمار، فقد ذمّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة الظالمين، وإنّ الله تعالى أعدّ لهم العذاب الأليم.

فالطغاة والمستبدّين مبدأهم وشعارهم سحق الشعوب الثائرة بكلّ قوّة وعنف.

وها هي اليوم الشعوب العربيّة والإسلاميّة تعجّ من الاضطهاد والعنف الشديد من حكّامهم الطغاة، حيث لا يفهمون مبدأ الحوار والتحاور، بل لغتهم البطش والاستبداد، فهم ينهبون ثروات البلاد ويتركون الشعوب تعاني الفقر والحرمان.

أمّا السياسة العادلة التي رفع لواءها النبيّ صلى الله عليه وآله ووصيّه الإمام عليّ عليه السلام فهي تتبنّى حقوق الضعفاء والمحرومين، فأمل الشعوب اليوم التحرّر والعدل والتخلّص من الظلم، وهي متعطّشة إلى المصلح العظيم الذي سوف يحقّق السلام والحرّيّة والسعادة.

وهذا الكتاب ـ أيّها القارئ الكريم ـ فيه دراسة وتحليل للسياسة العادلة التي تجسّدت برائد العدالة الاجتماعيّة الإمام عليّ عليه السلام والأئمّة الكرام، وبين السياسة الظالمة التي سادت

العصر الأمويّ والعبّاسيّ، وما خلّفته من الدمار والفقر للشعوب.

ونحن نحمد الله عزّ وجلّ على ما وفّقنا إليه من تحقيق ومراجعة نصوص ومصادر الكتاب.

وفي الختام نتقدّم بآيات الشكر إلى المحسن الوجيه الحاج سلمان القريشي على مساهمته في طبع هذا الكتاب، سائلاً المولى العزيز أن يوفّقه لكلّ مسعىً نبيل.

الحمد لله ربّ العالمين

مهدي باقر القرشي

٢٨ جمادى الآخر ١٤٣٢هـ

تقديم

١

أمّا السياسة فلها معانٍ متعدّدة حسب ما ذكره اللغويّون، كان منها القيمومة على أُمور الناس، ورعاية مصالحهم وفق الحقّ والعدل، وعدّوا ذلك من سمات الأنبياء والمصلحين العظام، فقد وصفوا بأنّهم ساسة العباد، وكان هذا الوصف الرفيع من صفات أئمّة الهدى عليهم السلام، فقد جاء في الدعاء: «اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الْأَئِمَّةِ الْقادَةِ وَالدُّعاةِ السّادَةِ وَالنُّجُومِ الزّاهِرَةِ وَالْأَعْلامِ الْباهِرَةِ وَساسَةِ الْعِبادِ وَأَرْكانِ الْبِلادِ»[1].

وجاء ذكرهم عليهم السلام في زيارتهم: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الْأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الْأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ»[2].

وتخلّت السياسة عن هذا المعنى منذ العصور القديمة حتّى يرث الله تعالى الأرض ومَن عليها، وصارت لوناً من ألوان الكذب والمكر

---

(١) دعاء الندبة.

(٢) الزيارة الجامعة الكبيرة.

والخداع ، ولم يعد لمعناها الحضاري أي ظلّ على مسرح الحياة ، ونظراً لخلوّها عن القيم الإنسانيّة فقد تعوّذ من شرّها الإمام شيخ الأزهر الشريف الشيخ محمّد عبده ، يقول: «وأعوذ بالله تعالى من ساس ويسوس وسائس ، وكلّ ما اشتقّ من هذه الكلمة» .

وقال الإمام الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء: «السياسة جمرة نراها ولا نلمسها» ، لقد أصبحت السياسة عند الدول الكبرى مسرحاً لظلم الشعوب واستعبادها ، واستنزاف ثرواتها ، وجعلها تحت مناطق النفوذ .

٢

وظاهرة من سلوك السياسيّين قديماً وحديثاً التناقض فيما يقولون ويفعلون ، وأمثلة ذلك كثيرة كان منها موقف السيّدة عائشة من عثمان ، فقد أفتت بكفره وإباحة دمه وقتله ، وقالت: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر» ، وأشعلت نار الثورة عليه ، وانصرفت إلى مكّة تترقّب الأحداث عن مصيره ، آملة أن يكون قد قُتل وصار الخليفة من بعده ابن عمّها طلحة ، فالتقت بقريب لها كان قادماً من المدينة ، فأخبرها بمصرع عثمان ، فتلقّت النبأ بمزيد من السرور ، وسارعت سائلة عمّن فاز بالحكم ، فأخبرها أنّ الذي تولّى قيادة الحكم هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ففزعت وفقدت صوابها ، وراحت تقول: «ليت هذه ـ وأشارت إلى السماء ـ سقطت على هذه ـ وأشارت إلى الأرض ـ إن تمّ الأمر لابن أبي طالب ، قُتل عثمان مظلوماً لأطلبنّ بدمه» .

وليس هذا التناقض في سلوكها غريباً على السياسيّين الذين ينسابون وراء مصالحهم وأهوائهم .

ومعظم السياسيّين لا يهمّهم سفك الدماء ، وإزهاق الأنفس في سبيل مصالحهم ، وسعة نفوذهم ، وتدمير خصومهم ، فقد قُتل في حرب الجمل زهاء عشرين ألف مسلم ، وفي صفّين قُتل ما يزيد على مائة ألف مسلم ، وشاع الحزن والحداد في بيوت المسلمين ، وهذه الحروب تبنّاها الطامعون في الحكم ، غير حافلين بما جرّوه على الأُمّة من الويلات والدمار ، فقد حالوا بين الإمام أمير المؤمنين عملاق هذه الأُمّة ورائد نهضتها الحضاريّة وبين متطلّباته في تحقيق العدالة الاجتماعيّة في دنيا الإسلام ، فقد قاموا بهذه الحروب من أجل أطماعهم التي ظهرت على مسرح الحياة من استعباد المسلمين وإرغامهم على ما يكرهون .

واستمرّت الحروب الكثيرة بين المسلمين على أشدّها وأعنفها وأكثرها دماراً في العصر الأمويّ والعبّاسي ، وكانت بعض تلك الحروب المناهضة للأمويّين والعبّاسيّين إصلاحيّة أراد أصحابها ـ كزيد بن عليّ ـ إنقاذ المسلمين من غطرسة أُولئك الحكّام الذين اتّخذوا مال الله تعالى دولاً ، وعباده خولاً .

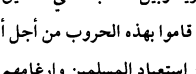

أمّا في هذه العصور التي وقعت فيها الدولة الإسلاميّة فريسة بأيدي المستعمرين ، فقد شاعت بينهم الحروب المدمرة للحياة ، فكانت الحرب العالميّة الأُولى والثانية التي أُزهقت فيها ملايين الأنفس في سبيل أطماعهم ، والسيطرة على دول العالم ، ولا يهمّ القائمون بتلك

الحروب تدمير الأرض وخلوّها من سكّانها.

وظهر على مسرح الحياة الصراع المدمّر بين الدول الرأسماليّة بقيادة الولايات المتّحدة وبين الدول الشيوعيّة بزعامة الاتّحاد السوفياتي، وكلّ من القوّتين يريد السيطرة على العالم والتحكّم في مصيره، وقد انهارت الشيوعيّة في وطنها الأمّ الاتّحاد السوفياتي، لأنّ أنظمتها شذّت عن سنن الكون، وقد دلّلنا على ذلك في كتابنا (العمل وحقوق العامل في الإسلام) وغيره من كتبنا الإسلاميّة.

وعلى أي حال، فإنّ الإنسانيّة تعجّ بالظلم من جرّاء الصراع السياسي بين قادة الدول الكبرى التي لا تنشد صالح الإنسان.

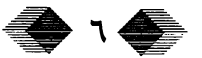

إنّ الإنسانيّة على ما جربّت من التجارب، وبلغت من رقيّ فيما شرّعته وقنّنته من الأنظمة السياسيّة والاجتماعيّة لم تصل إلى ما قنّنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدالة الاجتماعيّة في الأرض، فقد قنّن الأنظمة السياسيّة القائمة على العدل الخالص والحقّ المحض، وعالج جميع قضايا الإنسان في جميع مجالات حياته، فكان حقّاً هو الزعيم المطلق للإنسانيّة في جميع مجالاتها عبر القرون والأجيال، وقد اقتدى بروحه وأنظمته ولده الإمام الحسين عليه السلام الثائر على الظلم والاستبداد حتّى استشهد لينقذ الإنسان من غطرسة الحكم الأموي الذي استهان بحقوق الإنسان.

ويعرض هذا الكتاب إلى صور مظلمة من حكم الأمويّين والعبّاسيّين الذين صبّوا على المسلمين وابلاً من الخطوب والأزمات، ففي العهد الأموي سملت العيون، وقطعت الأيدي والأرجل، وكان الشخص يقول لنفسه: «انج سعد فقد هلك سعيد».

وفي أيّام العبّاسيّين اضطهدوا العلويّين وشيعتهم اضطهاداً قاسياً لا مثيل له في فظاعته ومرارته، وفيما أحسب أنّ تلك الأحداث الجسام كانت من نتائج السقيفة والشورى، فقد عمد النظام فيهما إلى إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن قيادة الأمّة وجعلهم بمعزل عنها، فإنّه لمّا آل الحكم إلى طاغية الأمويّين معاوية جعل سبّهم من فرائض دولته، وعهد إلى الوضّاعين الذين يعيشون على موائده بوضع الحديث في ذمّ أهل البيت عليهم السلام وتمجيد الصحابة، فافتعلت مئات الأحاديث، ودوّنت في الصحاح والسنن، وقد امن بها شريحة من المسلمين لأنّها دوّنت في الصحاح، وكان ذلك من أقسى ما واجهه المسلمون من النكبات.

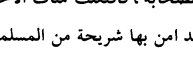

وقبل أن أطوي الحديث في هذا التقديم أعرض إلى السادة القرّاء أنّ عرض هذه البحوث ليس مدعاة للطائفيّة أو إثارة لفتنتها الكريهة، فإنّ ذلك بعيد عمّا أؤمن به من وجوب العمل لوحدة المسلمين ونشر القيم الإسلامية، وقد ألّفت عشرات الكتب في هذا الموضوع، وقد ترجم الكثير منها إلى بعض لغات العالم.

وإنّي حسب دراستي للتاريخ أرى من الضروري نشر الأحداث في العصر الإسلامي الأوّل على واقعها، فقد خلط التاريخ بكثير من الموضوعات، وعلينا أن ندرس الأحداث بعقولنا لا بعواطفنا، ونكون بذلك قد أدّينا خدمة للإسلام.

وأرفع آيات الشكر إلى ولدي العلّامة الشيخ مهدي الذي ما ترك خدمة إلّا قدّمها لي، وأهمّها مراجعة وتحقيق ونشر كتبي بأجود ما تكون الطباعة، شكر الله مساعيه، ووفّقه لكلّ خير.

إنّه تعالى وليّ القصد والتوفيق

مكتبة الإمام الحسن العامة
النجف الأشرف

نادر شريف الأبرشي
١٠ ذي الحجّة ١٤٣١هـ

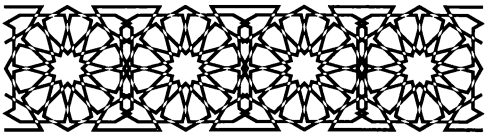

سياسة العدل

أمّا السياسة الناجحة، فأظهر مثل لها وأصدقه هي سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، رائد العدالة الكبرى، ومؤسّس حقوق الإنسان، وتمثّل سياسته الإسلام بجميع مقوّماته السياسيّة، وهذا عرض لبعض شؤونها:

قيمة الحكم

لا قيمة لمغريات الحكم وأبّهة السلطان عند الإمام عليه السلام ما لم تتحقّق بها الأهداف النبيلة التي يسعد بها الشعب، بأن يدفع عنه غائلة الفقر والحرمان، ونشر الأمن والرخاء، وقد أعلن الإمام ذلك حينما كان يخصف نعله الذي كان من ليف، فرأى ابن عبّاس مزهوّاً، فسأله عن ذلك، فقال: كيف لا أكون مزهوّاً وقد آلت إليك الخلافة، فرفع الإمام إحدى نعليه وقال له: **ما قِيَمةُ هٰذِهِ النَّعْلِ؟**

فقال ابن عبّاس: لا قيمة له يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: **وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً، أَوْ أَدْفَعَ باطِلاً**[1].

من أجل إقامة الحقّ بسعته وشموله، وتدمير الباطل بجميع عناوينه، تقلّد

---

(١) نهج البلاغة: ١: ١١.

الإمام عليه السلام الخلافة، وليس لذلك نظير في جميع فترات التاريخ.

وأكّد هذا المعنى سبب خلافه مع أبي بكر، وأنّه لم يكن من أجل الملك والسلطان، قال:

«اللّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ أنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذي كانَ مِنّا مُنافَسَةً في سُلْطانٍ، وَلَا الْتِماسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطامِ، وَلٰكِنْ لِنَرِدَ الْمَعالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ»(١).

وقال الإمام عليه السلام:

«فَما راعَنِي إلَّا وَالنّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ(٢) إلَيَّ يَنْثالونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جانِبٍ، حَتّىٰ لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنانِ، وَشُقَّ عِطْفايَ(٣) مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ(٤)»(٥).

ويبرّر الإمام عليه السلام قبوله للخلافة بقوله: **«وَاللهِ ما تَقَدَّمتُ عَلَيْها إلَّا خَوفاً مِنْ أنْ يَنْزُوَ عَلَى الْأَمْرِ تَيْسٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، فَيَلْعَبَ بِكِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**(٦).

---

(١) نهج البلاغة: ١: ٤.

(٢) **عُرف الضبع**: الشعر الكثير الذي يكون على عنق الضبع يضرب به المثل في كثرة الازدحام ـ لسان العرب: ٩: ١٥٦ـ عَرَفَ.

(٣) **شقّ عطفاي**: أراد به خدش من جانبيه من كثرة زحام الناس عليه للبيعة.

(٤) **ربيضة الغنم**: الطائفة الرابضة، يصف جثومهم بين يديه ـ لسان العرب: ٥: ١١١ـ رَبَضَ.

(٥) نهج البلاغة: ١: ٣٦، الخطبة ٣.

(٦) أنساب الأشراف: ٢: ٣٥٣.

أرأيتم نكران الذات وسموّ النفس وعظمة الأهداف النبيلة عند الإمام عليه السلام، فهو لم ينازع أبا بكر من أجل الإمرة والسلطان اللذان تتصارع عليهما الرجال، وتزهق الأنفس في سبيلهما، وإنّما كان من أجل إقامة الحقّ الذي تتحقّق به سعادة الشعوب وسلامتها من كلّ اعتداء وزيغ وفتنة.

الحقّ هو رائد الإمام عليه السلام، وناضل ونافح من أجل إقامته، وليس غير الحقّ من هدف عنده في تولّيه لقيادة الأمّة، وقد سار على هذا الخطّ المشرق نجله أبو الأحرار وسيّد الشهداء المصلح الأعظم الإمام الحسين عليه السلام، فقد أعلن أنّ الحقّ شعاره في ثورته الخالدة، فقد خاطب جماهير الكوفة التي احتشدت لإراقة دمه قائلاً:

وَإِنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً، وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظالِماً، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ في أُمَّةِ جَدِّي صلى الله عليه وآله، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ، فَاللهُ أَوْلىٰ بِالْحَقِّ، وَمَن رَدَّ عَلَيَّ أَصْبِرُ حَتّىٰ يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ[1].

لم يقل الإمام عليه السلام لهم أنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن وصيّه وسيّد شباب أهل الجنّة، إنّما قال لهم: «**فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ**».

هذا هو هدفه، وهذا هو السرّ في تضيحته الخالدة.

وقال مرّة أُخرى أمام الحرّ وأصحابه:

---

(١) الفتوح: ٥: ٢١. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١: ١٨٨ ـ ١٨٩.

«أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ نَزَلَ بِنا ما قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ، وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْروفُها، وَلَمْ يَبْقَ مِنْها إِلّا صَبابَةٌ كَصَبابَةِ الْإِناءِ، وَخَسيسُ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبيلِ[1]، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَإِلَى الْباطِلِ لَا يُتَناهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقاءِ اللهِ، فَإِنّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلّا سَعادَةً وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إِلّا بَرَماً»[2].

أي شيء في هذا الكون أسمى من إقامة الحقّ، ومناهضة الباطل التي هي رسالة الأنبياء عليهم السلام إلى شعوب العالم.

كراهته للمهرجانات الشعبيّة

وكره الإمام عليه السلام أشدّ ما تكون الكراهة المهرجانات الشعبيّة التي تقام تكريماً وتعظيماً للملوك، فقد استقبل في الأنبار استقبالاً حاشداً، وقدّم له الأنباريّون دواباً تكريماً له، فنفر الإمام عليه السلام من ذلك وقال لهم: **ما هٰذِهِ الدَّوابُّ الَّتي مَعَكُمْ؟ وَما أَرَدْتُمْ بِهٰذا الَّذي صَنَعْتُمْ؟**

فقالوا: يا أمير المؤمنين، أمّا هذا الذي صنعنا فهو خُلق منّا نعظّم به الأُمراء، وأمّا هذه البراذين فهدية لك، وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً، وهيّأنا لدوابكم علفاً كثيراً.

وراح الإمام عليه السلام يقول لهم بهدي الأنبياء: **«وَاللهِ! ما يَنْتَفِعُ بِهٰذا أُمَراؤُكُمْ،**

---

(١) **المرعى الوبيل**: هو الطعام الوخيم الذي يخاف وباله، أي سوء عاقبته ـ لسان العرب: ١٥: ٢٠٢ ـ وبل.

(٢) المعجم الكبير: ٣: ١١٤ و ١١٥، الرقم ٢٨٤٢. حلية الأولياء: ٢: ٣٩. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٧ و ٢١٨. تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠): ١٢.

وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَتَشُقُّونَ بِهِ عَلىٰ آخِرَتِكُمْ. وَما أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَراءَها الْعِقابُ، وَما أَرْبَحَ الرّاحَةَ مَعَها الْأَمانُ مِنَ النّارِ»[١].

وَأَمّا دَوابُّكُمْ هٰذِهِ فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ نَأْخُذَها مِنْكُمْ فَنَحْسِبَها مِنْ خِراجِكُمْ أَخَذْناها مِنْكُمْ، وَأَمّا طَعامُكُمُ الَّذي صَنَعْتُمْ لَنا فَإِنّا نَكْرَهُ مِنْ أَمْوالِكُمْ شَيْئاً إِلّا بِثَمَنٍ[٢].

أرأيتم هذا العدل الخالص الذي مثّله الإمام عليه السلام في سيرته.

الإمام قدوة

الذي يتولّى قيادة الأُمّة يجب أن يكون مهذّباً في سلوكه وسموّ أخلاقه وشدّة احتياطه في أُمور الدين حسبما أدلى الإمام عليه السلام بذلك في كثير من أحاديثه، كان منها:

١ ـ قال عليه السلام: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنّاسِ إِماماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسانِهِ؛ وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُها أَحَقُّ بِالْإِجْلالِ مِنْ مُعَلِّمِ النّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ»[٣].

٢ ـ وقال عليه السلام: «أَيُّها النّاسُ، إِنّي ـ وَاللهِ ـ ما أَحُثُّكُمْ عَلىٰ طاعَةٍ إِلّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْها، وَلا أَنْهاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلّا وَأَتَناهىٰ قَبْلَكُمْ عَنْها»[٤].

---

(١) المناقب: ١: ٣٧٢.

(٢) وقعة صفّين: ١٤٤.

(٣) نهج البلاغة: ٤: ١٠. بحار الأنوار: ٢: ٥٦.

(٤) نهج البلاغة: ٢: ٦٦. شرح نهج البلاغة: ١٠: ٢٥٠.

أرأيتم هذه المثل العليا التي يجب أن يتّصف بها قائد الأُمّة، ولم تتوفّر بأسمى معانيها عند غير الإمام عليه السلام رائد العدالة والحقّ في الإسلام.

المواساة للرعيّة

وكان من سياسة الإمام عليه السلام وفلسفة حكمه مواساته للرعيّة في مكاره الدهر وخطوب الأيّام، وقد عاش عيشة الفقراء البائسين مواساة لهم، قال عليه السلام:

«وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَىٰ مُصَفَّىٰ هٰذا الْعَسَلِ، وَلُبابِ هٰذا الْقَمْحِ، وَنَسائِجِ هٰذا الْقَزِّ. وَلٰكِنْ هَيْهاتَ أَنْ يَغْلِبَني هَوايَ، وَيَقُودَني جَشَعي إِلَىٰ تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ ـ وَلَعَلَّ بِالْحِجازِ أَوِ الْيَمامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ في الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ـ أَوْ أَبِيتَ مِبْطاناً وَحَوْلي بُطُونٌ غَرْثَىٰ وَأَكْبادٌ حَرَّىٰ، أَوْ أَكُونَ كَما قالَ الْقائِلُ:

وَحَسْبُكَ داءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبادٌ تَحِنُّ إِلى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسي بِأَنْ يُقالَ: هٰذا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشارِكُهُمْ في مَكارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ في جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَما خُلِقْتُ لِيَشْغَلَني أَكْلُ الطَّيِّباتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمُّها عَلَفُها»[1].

أيّ حاكم أو مسؤول في الدنيا واسى الفقراء في عيشهم مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي اختاره الله تعالى وصيّاً لنبيّه صلى الله عليه وآله، وقائداً لأُمّته.

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ٥٣.

لقد خلقه الله تعالى للعدل والحقّ، ولكلّ فضيلة يعتزّ بها هذا الكائن من بني الإنسان.

المساواة

تبنّى الإمام عليه السلام العدل الخالص بجميع رحابه ومكوّناته، وكان منه المساواة بين الناس على اختلاف لغاتهم وقوميّاتهم وأديانهم، ومن صنوف مساواته عليه السلام:

المساواة في الحقوق

من ألوان مساواته عليه السلام العادلة المساواة بين الرعيّة في الحقوق والواجبات، فكلّ أفراد الرعيّة متساوون أمام عدله من دون أن يكون للوجهاء امتياز على الضعفاء.

قال عليه السلام في كتابه لأحد عمّاله عليه السلام:

«أَتَرْجُوا أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَواضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ ـ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ في النَّعِيمِ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ ـ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟»[1].

المساواة في العطاء

من معالم سياسة الإمام عليه السلام المساواة في العطاء، من دون امتياز لأحد على أحد، وقد جرّت هذه السياسة حقد الوجوه والأعيان عليه، كما أدّت إلى تغلّب معاوية عليه، فقد كان ينفق أموال المسلمين بغير توقّف لشراء الضمائر، فأفسد

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ١٣.

على الإمام عليه السلام جيشه، فقد شرى قادة جيش الإمام عليه السلام بالأموال.

وقد انبرى بعض أصحاب الإمام فقالوا له: يا أمير المؤمنين فضّل العرب على العجم، وفضّل قريشاً على العرب بالعطاء، فنفر من ذلك وقال عليه السلام:

«أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ!

أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَىٰ مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلْأَمُ خَدِينٍ!»[1].

هذا هو منهج سياسته عليه السلام الذي لم يحد عنه.

يقول المؤرّخون: إنّه لم يؤثر أهل بيته وأبناءه بأي شيء قلّ أو كثر من خزينة الدولة، كما لم يؤثر نفسه بأيّ شيء منها، وكان ذلك منتهى العدل والاحتياط التامّ في أموال المسلمين.

مع عقيل

من مظاهر العدل الصارم الذي طبّقه الإمام عليه السلام على مسرح سياسته في أيّام خلافته أنّ أخاه عقيلاً وفد عليه وقد ألمّت به أزمة ماليّة، فقال للإمام عليه السلام: قصدتك

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ٥.

لتقضي دَيني.

- **كَمْ دَيْنُكَ ؟**

- أربعون ألفاً.

- **وَاللهِ ما هِيَ عِنْدي، وَلَا أَمْلِكُها، وَلٰكِنِ اصْبِرْ حَتّىٰ يَخْرُجَ عَطائي فَأَدْفَعُهُ لَكَ.**

وسارع عقيل قائلاً: بيت من المال بيدك وأنت تسوّفني بعطائك.

فزجره الإمام عليه السلام وأجابه بمنطق العدالة الكبرى التي لم تشاهد الدنيا مثيلاً لها قائلاً: **أَتَأْمُرُني أَنْ أَفْتَحَ بَيْتَ مالِ الْمُسْلِمينَ فَأَعْطِيكَ أَمْوالَهُمْ، وَقَدْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ تَعالىٰ، وَأَقْفَلُوا عَلَيْها، وَإِنْ شِئْتَ أَخَذْتَ سَيْفَكَ وَأَخَذْتُ سَيْفي وَخَرَجْنا جَميعاً إِلَى الْحِيرَةِ فَإِنَّ فيها تُجّاراً مَياسيرَ، فَدَخَلْنا عَلىٰ بَعْضِهِمْ فَأَخَذْنا مالَهُ.**

وسرت موجات من اليأس والحرمان في نفس عقيل وراح يقول: إنّي آت معاوية.

- **ذاكَ إِلَيْكَ.**

وترك عقيل الإمام عليه السلام وانصرف إلى معاوية، فلمّا التقى به بادره معاوية قائلاً: كيف تركت عليّاً وأصحابه ؟

فصارحه عقيل بمنطق الحقّ قائلاً: أمّا أصحاب عليّ فهم كأصحاب محمّد، إلّا أنّي لم أرَ رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم، وكأنّك وأصحابك أصحاب أبي سفيان، إلّا أنّي لم أرى أبا سفيان فيهم[1].

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ٢٠١. المناقب: ٢: ١٨٠.

وهذا منطق الحقّ، فإنّ الإمام عليه السلام امتداد ذاتي لأخيه وابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعاوية امتداد لأبيه أبي سفيان العدوّ الأوّل للإسلام.

يقول الإمام عليه السلام في إحدى خطبه:

«وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ ظالِماً لِبَعْضِ الْعِبادِ، وَغاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَىٰ الْبِلَىٰ قُفُولُها، وَيَطُولُ فِي الثَّرَىٰ حُلُولُها؟!

وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّىٰ اسْتَماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الْأَلْوانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيادَهُ مُفارِقاً طَرِيقَتِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِها، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّواكِلُ -يا عَقِيلُ- أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْماها إِنْسانُها لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَىٰ نارٍ سَجَرَها جَبَّارُها لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَىٰ وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظىً؟!»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١: ٢٤٥.

مع الحسن والحسين عليهما السلام

ولم يمنح الإمام عليه السلام أي شيء من بيت المال لسبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وعاملهما كبقيّة أبناء المسلمين. يقول خالد بن معمّر الأوسي لعلباء بن الهيثم ـ وكان من أصحاب الإمام عليه السلام ـ: «اتّق الله ـ يا علياء ـ في عشرتك ـ لعليّ ـ، وانظر لنفسك ولرحمك. ماذا تؤمّل عند رجل أردته أن يزيد في عطاء الحسن والحسين دريهمات يسيرة ريثما يرأبان بها ظلف العيش، فأبى وغضب فلم يفعل»[1].

وكتب عليه السلام إلى أحد عمّاله:

«فَاتَّقِ اللهَ وَارْدُدْ إِلَىٰ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي ما ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النّارَ!

وَوَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، ما كانَتْ لَهُما عِنْدِي هَوادَةٌ، وَلَا ظَفِرا مِنِّي بِإِرادَةٍ، حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُما، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِما.

وَأُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ما يَسُرُّنِي أَنَّ ما أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوالِهِمْ حَلَالٌ لِي، أَتْرُكُهُ مِيراثاً لِمَنْ بَعْدِي؛ فَضَحَّ رُوَيْداً»[2].

إنّ سيرة الإمام عليه السلام مع أبنائه وغيرهم من المسلمين على مستوى واحد، فلم يميّزهم على غيرهم تطبيقاً للعدالة الكبرى التي أرادها الله تعالى لعباده.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠: ٢٥.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ٤٩.

مع عبدالله بن جعفر

وفد عبدالله بن جعفر ومعه سيّدة النساء عقيلة بني هاشم زينب عليها السلام طالباً منه أن يسعفه بالأموال، فتنكّر له الإمام عليه السلام وأعرض عنه، وخطب خطبة من أروع خطبه ذكر فيها ما يريد تحقيقه من بسط الحقّ وإشاعة العدل بين الناس، فتنكّر له القريب والبعيد.

كيفيّة الحديث مع الإمام عليه السلام

حدّث الإمام عليه السلام أصحابه عن كيفيّة الحديث معه بقوله:

«وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جالَ في ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْراءَ، وَاسْتِماعَ الثَّناءِ؛ وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ كَذٰلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطاطاً لِلّٰهِ سُبْحانَهُ عَنْ تَناوُلِ ما هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِياءِ.

وَرُبَّما اسْتَحْلَى النّاسُ الثَّناءَ بَعْدَ الْبَلاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَناءٍ، لِإِخْراجِي نَفْسِي إِلَى اللهِ سُبْحانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ [الْبَقِيَّةِ] في حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدائِها، وَفَرائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضائِها، فَلَا تُكَلِّمُوني بِما تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِما يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبادِرَةِ، وَلَا تُخالِطُوني بِالْمُصانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، وَلَا الْتِماسَ إِعْظامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كانَ الْعَمَلُ بِهِما أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ،

فَإِنِّي لَسْتُ في نَفْسي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي ما هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ؛ يَمْلِكُ مِنَّا ما لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنا، وَأَخْرَجَنا مِمّا كُنّا فِيهِ إِلَىٰ ما صَلَحْنا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَىٰ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَىٰ»[1].

وحفل حديث الإمام عليه السلام بأسمى صور العدل، وهذه بعض الموادّ في كلامه:

١ ـ عدم مخاطبة الإمام مخاطبة الملوك من التعظيم والتكريم، وإنّما يجب أن يكون الحديث معه بالنصيحة والصراحة والنقد إن كان عمله مجافياً للواقع، أمّا المصانعة فإنّها من ألوان النفاق.

٢ ـ أن لا يظنّ أحد من أصحاب الإمام عليه السلام أنّه يكره سماع الحقّ.

٣ ـ نصح الإمام عليه السلام إذا جافى في سيرته الواقع.

٤ ـ محاسبة السلطة على عدم قيامها بشؤون الرعيّة.

هذه بعض النقاط في حديث الإمام عليه السلام، وهي تدلّ على سموّ مكانته وعظيم شأنه.

إنصاف الناس

ومثل رائع من سياسة الإمام عليه السلام الرائعة هو إنصاف الناس، والنظر في أُمورهم بعدل، وقد أكّد ذلك في عهده لمالك الأشتر، فقد جاء فيه:

«أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خاصَّةِ أَهْلِكَ،

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ٢٠١.

وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبادِهِ ، وَمَنْ خاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ ، وَكانَ للهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ إِلَىٰ تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقامَةٍ عَلَىٰ ظُلْمٍ ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعَوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ ، وَهُوَ لِلظّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ »(١).

أرأيتم هذا العدل الخالص الذي سار عليه الإمام عليه السلام في أيّام حكومته ، وهو منهج الإسلام بجميع مقوّماته.

الرحمة والحبّ للرعيّة

ومن مظاهر السياسة العادلة للإمام عليه السلام ما أمر به مالك الأشتر واليه على مصر ، فقد أمره بكلّ ما تتقدّم به الأُمّة ، وتنجح به سياسة الحاكم ، وهو الرحمة بالرعيّة والحبّ لها.

قال عليه السلام :

«وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ، وَيُؤْتَى عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَىٰ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ

---

(١) نهج البلاغة : ٣: ٦٣.

فَوْقَكَ ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ. وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ »[١].

أرأيتم هذه العدالة الكبرى التي تنعم بها شعوب العالم وأمم الأرض ، وهي منهج رائع للسياسة الناجحة التي ينعم بها الإنسان من دون فرق بين المسلم وغيره ، فالناس ـ على حدّ تعبيره ـ **« إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ »**[٢].

إنّ هذه السياسة في الحكم هي التي أرادها الله تعالى لعباده لتقيم أودهم ، وتحميهم من الظلم والاعتداء ، وتوفّر لهم أسباب الأمن والمحبّة والرخاء.

إرضاء العامّة

وشيء بالغ الأهمّيّة للإمام عليه السلام في سياسته هو إرضاء العامّة من الشعب الذين يمثّلون الأكثريّة الساحقة من العمّال والفلّاحين وذوي الحرف والمهن ، فإنّ إرضائهم ، والعمل على كسب مودّتهم ، أوْلى من إرضاء الخاصّة التي هي القلّة من الشعب كذوي الثراء الفاحش والزعماء والوجوه ، فإنّ إرضاء العامّة مقدّم على إرضاءهم.

اقرأوا قول الإمام عليه السلام في عهده الذهبي للزعيم مالك الأشتر الذي هو أوثق وأدقّ وثيقة سياسيّة في الإسلام.

قال عليه السلام :

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٦٢.

(٢) نهج البلاغة : ٣ : ٦٢.

«وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُها فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّها فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُها لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ[1] بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعامَّةِ.

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحافِ[2]، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ. وَإِنَّما عِمادُ الدِّينِ، وَجِماعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْداءِ، الْعامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ؛ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ»[3].

عرض الإمام عليه السلام إلى أهمّيّة العامّة من الشعب، وأنّهم أوْلى بالرعاية والاهتمام من الخاصّة التي هي أقلّ شكراً عند العطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، فينبغي مراعاة العامّة وتقديمهم على الخاصّة في جميع الخدمات.

وليس هناك من ملوك المسلمين وحكّامهم مَن نظر إلى العامّة بعين الإنصاف ورعى شؤونهم، ووفّر لهم ما يحتاجونه من الأمن والرخاء كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي رفع شعار: «ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ»[4].

---

(١) **يجحف**: يذهب.

(٢) **الإلحاف**: الإلحاح.

(٣) نهج البلاغة: ٣: ٦٣.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١: ٩٧.

منع التفاخر بالآباء

من سياسة الإمام عليه السلام منعه للتفاخر بالآباء الذي هو من عادات الجاهليّة، فقد وفدت عليه سيّدة قرشيّة فالتقت بسيّدة فارسيّة تسألها عن راتبها، وإذا هو بقدر راتبها، فأخذت بيدها ورفعت صوتها عالياً قائلة: أمن العدل ـ يابن أبي طالب ـ تساوي بيني وبين هذه الأمة الفارسيّة.

فتناول الإمام عليه السلام قبضة من التراب وجعل يقلّبها بيده وهو يقول: **لَمْ يَكُنْ بَعْضُ هٰذَا التُّرابِ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ**، وتلا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1].

إنّ التفاخر في الإسلام إنّما هو بفعل الخير والطيّبات من الأعمال، وأمّا غير ذلك فهو من الفضول الذي ليس وراءه إلّا السراب.

الصراحة والصدق

وظاهرة أُخرى في سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الصراحة والصدق في جميع شؤون حياته، فلم يوارب ولم يخادع ولم يكذب، وإن توقّف على ذلك النصر السياسي.

ولمّا عرض عليه عبدالرحمان بن عوف الخلافة بعد وفاة عمر وشرط عليه أن يسير بسيرة الشيخين امتنع من إجابته، لأنّ فيها التواء، وصارحه أنّه يسير على ضوء الكتاب والسنّة، وليس غيرهما رصيد يستند إليه في سياسته.

---

(١) الحجرات ٤٩: ١٣.

لقد أبى ضميره أن يماكر أو يخادع في سبيل الوصول إلى الحكم الذي تنهافت إلى الوصول إليه الساسة بأي طريق كان، وقد ردّ على مَن اتّهمه أنّه لا دراية له بشؤون السياسة، وأنّ معاوية أخبر بها منه، فقال: «**وَاللهِ ما مُعاوِيَةُ بِأَدْهَىٰ مِنِّي، وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ. وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ**»(١).

وكان كثيراً يتنفّس الصعداء من آلام خصومه القرشيّين ويقول: «**وَا وَيْلَاهُ! يَمْكُرُونَ بِي، وَيَعْلَمُونَ أَنِّي بِمَكْرِهِمْ عَالِمٌ، وَأَعْرِفُ مِنْهُمْ بِوُجُوهِ الْمَكْرِ، وَلٰكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ فِي النَّارِ، فَأَصْبِرُ عَلَىٰ مَكْرِهِمْ وَلَا أُرْتَكِبُ مِثْلَ مَا ارْتَكَبُوا**»(٢).

وقد أنكر على الذين يستخدمون جميع الوسائل للوصول للحكم، فقال عليه السلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَىٰ مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَىٰ حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعاً مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ**»(٣).

على هذا الخلق الرفيع والمنهج المشرق بنى الإمام عليه السلام سياسته القائمة على الحقّ والعدل، وهذا هو السبب في خلوده عبر الأجيال الصاعدة.

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ١٣٥.

(٢) جامع السعادات: ١: ٢٠٢.

(٣) نهج البلاغة: ١: ٨٥.

وقد سار على هذا الخطّ ولده سيّد الأحرار وأبو الشهداء وأعظم مصلح اجتماعي في الأرض، وهو الإمام الحسين عليه السلام، فقد أعلن لمّا رفض بيعة الفاسق الفاجر يزيد بن معاوية أنّه سيستشهد، وأنّ أوصاله ستقطّعها عسلان الفلوات بين النوواويس وكربلاء، وأنّ ذئاب الأمويّين سوف تمتلئ أكراشهم وأجوافهم من أموال المسلمين، كما سمح لأصحابه وأهل بيته بالانصراف ليلة العاشر من المحرّم، لأنّ الجيش الأموي لا يطلب سواه، ولو ظفروا به للهوا عن مطاردتهم، فأبى أُولئك الأحرار الذين ساروا على منهجه.

وعلى هذا الخطّ الواضح سار الشهيد الخالد مسلم بن عقيل حينما كان في دار هاني بن عروة، وكان فيه الفاجر الخبيث عبيدالله بن زياد فطلبوا منه أن يغتاله فأبى لأنّ الاغتيال غير مشروع في شريعة أهل البيت عليهم السلام.

الحرّيّة

من القيم الكريمة في سياسة الإمام عليه السلام أنّه منح الحرّيّة التامّة لجميع المواطنين في دولته حتّى لأعدائه بشرط أن لا تُستغل في الإخلال بالأمن العامّ.

وفور تسلّم الإمام عليه السلام للحكم دخل عليه عبدالله بن عمر، فقال له: إنّي لا أُحبّك، ولا أُبايعك ولا أُصلّي خلفك.

فقال له الإمام عليه السلام: **ذاكَ إِلَيْكَ، وَإِنّي لا أَمْنَعُكَ عَطاؤُكَ**، وانصرف إلى داره، ولم يتّخذ الإمام عليه السلام معه أي إجراء، وبايع عبدالله من بعد الإمام عليه السلام معاوية ويزيد، وعبدالملك بن مروان وبايع الحجّاج في غلس الليل لئلّا يراه أحد، وفطن الحجّاج لذلك فقال له: أنت لا تصلح لئن تبايع يدي، ومدّ إليه رجله، فبايع قدمه.

وقد أراه الله تعالى على يد أفسق عباده الذلّ والهوان، وكان من مظاهر هذه الحرّيّة التي منحها الإمام عليه السلام لأعدائه أنّه كان يخطب، فانبرى إليه رجس من الخوارج فقطع عليه خطابه وقال له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1].

فأجابه الإمام عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[2]، ولم يتّخذ معه أي إجراء.

هكذا كان الإمام عليه السلام المثل الأعلى لنكران الذات، وعدم مقابلة مَن أساء إليه إلّا بالعفو والإحسان.

وكان من مظاهر الحرّيّة التي منحها الإمام عليه السلام للصحابة أنّه لم يفرض عليهم الإقامة الجبريّة في يثرب كما فرضها عليهم عمر، فلم يسمح لهم بالسفر إلى أي مكان شاءوا، وقد سمح الإمام عليه السلام لطلحة والزبير بمغادرة المدينة مع علمه أنّهما يريدان الغدرة ونكث بيعته، والقيام بثورة مسلّحة ضدّ حكومته.

إنّ الإمام عليه السلام كان يرى الناس أحراراً في اتّجاهاتهم وميولهم، وفي اعتناق أي مذهب سياسي يتّفق مع رغباتهم وميولهم شرط أن لا يحدثوا فساداً في الأرض.

تنمية الاقتصاد

وكان من مهامّ سياسة الإمام عليه السلام في الحقل الاقتصادي هو تنمية الاقتصاد العامّ للدولة، وإقصاء البطالة، وحسم الفقر الذي هو الكارثة المدمّرة للمجتمع، فإنّ الفقر والكفر عند الإمام عليه السلام سواء، فما دخل الفقر إلى بلد إلّا صحب معه الإلحاد.

ومن أهمّ الوسائل التي تؤدّي إلى تنمية الاقتصاد هي:

---

(١) الزمر ٣٩: ٦٥.

(٢) الروم ٣٠: ٦٠.

زيادة الانتاج الزراعي

تعتبر الزراعة في تلك العصور العمود الفقري للاقتصاد، وقد أكّد الإمام عليه السلام في عهده لمالك الأشتر على ضرورة إصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها، قال عليه السلام:

«وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبادَ»(١).

أمّا إصلاح الأرض فيتوقّف على شقّ الأنهر، وتوفير الماء، وغير ذلك من الوسائل في إصلاح الأرض، ومن المؤكّد أنّ زيادة الانتاج لها دخل في زيادة دخل الفرد زارعاً كان أو غيره، كما يوجب القضاء على البطالة التي هي من أعظم الكوارث على المجتمع.

التجارة

التجارة من عوامل تنمية الاقتصاد، وقد فتح لها الإسلام أبواب المضاربة، وهو ما تعطيه الدولة من الأموال للتجارة وغيرها من الوسائل التي توجب إنعاش الاقتصاد وازدهار الحياة، وللمضاربة شروط ذكرها الفقهاء في رسائلهم.

الرقابة على السوق

الإمام عليه السلام هو أوّل مَن قام بالرقابة على السوق، فكان يتجوّل بين الباعة، ويأمرهم بتقوى الله تعالى، والاستقامة في معاملاتهم، وكان يقول لهم: **أَرْخِصوا**

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣: ٦٠٦.

بَيْعَكُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ[١].

كما إنّ من مهام الرقابة على السوق النظر في السلع المباعة لئلّا تكون فاسدة وغير صالحة فتضرّ بالصحّة العامّة للمواطنين.

ومن مهام الرقابة على منع السلع المحرّمة كالخمر وغيره، ومصادرتها، وقد عرضت بحوث الاقتصاد الإسلامي بصورة موضوعيّة وشاملة إلى تفصيل ذلك[٢].

مراقبة الولاة والعمّال

وشيء مهمّ جدّاً في سياسة الإمام عليه السلام هو أنّه أقام العيون على الولاة والحكّام، فكانوا يسجّلون له كلّ بادرة تصدر عنهم، حسنة كانت أو سيّئة، ليجازي المحسن بإحسانه، والسيّيء بإساءته دعماً للعدل وإشاعة للحقّ، وكسباً لرضا العامّة.

انظروا إلى ما قال في شأن العمّال:

«ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ[٣] لَهُمْ عَلَىٰ اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظْ مِنَ الْأَعْوانِ؛ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَىٰ خِيانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذٰلِكَ شاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ

---

(١) تهذيب الأحكام: ١: ١٣٩.

(٢) يراجع إلى تفصيل ذلك كتاب (اقتصادنا) للشهيد آية الله السيّد محمّد باقر الصدر (قدّه)، و(العمل وحقوق العامل في الإسلام).

(٣) **حدوة**: أي حثّ لهم.

بما أَصابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتُهُ بِمَقامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتُهُ بِالْخِيانَةِ، وَقَلَّدْتُهُ عارَ التُّهَمَةِ»[1].

أرأيتم هذا العدل الصارم على مَن يخون الشعب ويتلاعب بمقدّراته من أجل أن يكون الحكم نزيهاً ونظيفاً حتّى تعمّ العدالة الكبرى التي يريدها الإمام عليه السلام للأُمّة.

مع عثمان بن حنيف

انظروا إلى هذا العدل والسموّ في الحكم حينما علم الإمام عليه السلام بأنّ عامله على البصرة عثمان بن حنيف قد دعي إلى وليمة أقامها له بعض وجوه البصرة، فكتب إليه الإمام عليه السلام رسالة يعنّفه فيها، وينكر عليه إجابته، لأنّ الغرض منها لم يكن سليماً، قال عليه السلام:

«أَمّا بَعْدُ، يابْنَ حُنَيْفٍ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعاكَ إِلى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفانُ[2]. وَما ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجيبُ إِلىٰ طَعامِ قَوْمٍ، عائِلُهُمْ[3] مَجْفُوٌّ[4]، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَىٰ ما تَقْضَمُهُ مِنْ هٰذا الْمَقْضَمِ، فَما اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ[5]، وَما أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ

---

(١) نهج البلاغة: ١: ٧٥.

(٢) **الجفان**: الأواني التي ينقل فيها الطعام.

(٣) **عائلهم**: فقيرهم.

(٤) **مجفو**: مطرود لفقره.

(٥) **الفظه**: اطرحه.

مِنْهُ »[١].

أرأيتم هذا التوبيخ من الإمام عليه السلام لابن حنيف ليكون الموظّف في جهاز الدولة نزيهاً ولا يستجيب لأيّة دعوة يدعى إليها حتّى لا يكون مطمعاً للوجوه فيتّخذونه جسراً لتنفيذ أُمورهم.

وقد أهدى الأشعث بنقيس حلوى للإمام عليه السلام ليتقرّب إليه، وقد عدّ الإمام عليه السلام ذلك من عجائب ما رآه. انظروا إلى قوله عليه السلام:

« وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طارِقٌ طَرَقَنا بِمَلْفُوفَةٍ في وِعائِها، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُها، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ أَمْ زَكاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنا أَهْلَ الْبَيْتِ!

فَقالَ: لَا ذا وَلَا ذاكَ، وَلٰكِنَّها هَدِيَّةٌ.

فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ؟

وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقالِيمَ السَّبْعَةَ بِما تَحْتَ أَفْلَاكِها، عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُها جُلْبَ شَعِيرَةٍ ما فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْياكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرادَةٍ تَقْضَمُها ما لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَىٰ! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُباتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ. وَبِهِ نَسْتَعِينُ »[٢].

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ٧٥.

(٢) نهج البلاغة: ٢: ١٦٣.

لقد احتاط الإمام عليه السلام في أُمور سياسته أشدّ ما يكون الاحتياط ، فكان المثل الأعلى لكلّ حاكم تجرّد من جميع المحسوبيّات ، وأخلص للعدل أعظم ما يكون الإخلاص.

وبهذا نطوي الحديث عن السياسة العادلة التي مثّلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أيّام حكومته ، والتي هي من أسمى ما عرفته الإنسانيّة من القيم السياسيّة التي تسعد بها أُمم العالم وشعوب الأرض.

سياسة الظلم

السياسة الظالمة تجرّ الويل والعطب للشعوب، وتدمّر حياتهم، وقد عانى المسلمون في عصورهم الأُولى المحن الشاقّة من ملوكهم الذين عاثوا في الأرض فساداً، وأرغموا المسلمين على الذلّ والعبوديّة، وعلى ما يكرهون، وكان من بينهم ملوك الأمويّين والعبّاسيّين، فقد كانت سياستهم مجافية لقيم الإسلام ومبادئه، وهذا عرض لها:

سياسة الأمويّين

أمّا السياسة الأمويّة في جميع بنودها لم يكن لها أي التقاء بالإسلام، وكانت موحشة ومظلمة بفسادها وانحرافها عن الحقّ، ومن أمثلة ساستهم:

عثمان بن عفّان

وساس عثمان المسلمين بسياسة لم يألفوها، وقد شذّ في سلوكه عن سيرة الشيخين، فآثر بني أُميّة وآل أبي معيط بثروات الأُمّة، كما أسند لهم جميع الوظائف الإداريّة في الدولة، وهذا عرض لبعض سياساته:

سياسته الماليّة

وقبل أن نعرض لسياسة عثمان الماليّة نودّ أن نذكر موقف الإسلام من أموال الدولة، لقد احتاط الإسلام أشدّ ما يكون الاحتياط بأموال الدولة، وألزم بإنفاقها لمكافحة الفقر والحرمان، وإنشاء اقتصاد متطوّر يقوم على العدل وإنقاذ المسلمين من غائلة الفقر الذي هو أعظم كارثة اجتماعيّة، وليس لرئيس الدولة ولا لأجهزته أن ينفقوا منها أي شيء في رغباتهم ومصالحهم، ولا أن يستأثروا بشيء منها لهم ولأبنائهم وحاشيتهم.

وقد سار على هذا النهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كما عرضنا لذلك في البحوث السابقة، فلم يؤثر نفسه ولا أهل بيته وحاشيته بأي شيء منها، وحمّل نفسه رهقاً، وعاش عيشة الفقراء.

أمّا سياسة عثمان الماليّة، فقد تصرّف في أموال المسلمين كأنّها ملك له، الأمر الذي أوجب نقمة خيار المسلمين عليه، وإجهازهم عليه، وهذه صور من عطائه للأمويّين:

١ ـ الحكم بن أبي العاص

الحكم من ألدّ أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أكثرهم حقداً وعداءً له، نفاه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الطائف، وقال: «**مَنْ عَذيري مِنْ هٰذا الْوَزَغِ اللَّعينِ، وَلَا يُساكِنُني وَلَا وَلَدهُ**»[1].

وظلّ منفيّاً هو وأولاده طيلة خلافة الشيخين، ولمّا انتهى الحكم إلى عثمان

---

(١) الشافي في الإمامة: ٤: ٢٦٩. أنساب الأشراف: ٦: ١٣٥.

أصدر عفواً عنه، فقدم إلى يثرب يسوق تيساً وهو بأقصى مكان من الذلّ والهوان، فدخل على عثمان فكساه جبّة خزّ، وطيلسان، ووهبه مائة ألف، وولّاه على صدقات قضاعة، فبلغت ثلاثمائة ألف، فوهبها له[١].

٢ ـ الحارث بن الحكم

وهو من فسّاق بني أُميّة، وقد وهبه من الأموال ما يلي:

١ ـ وهبه إبل الصدقة التي وردت إلى المدينة[٢].

٢ ـ وهبه ثلاثمائة ألف درهم.

٣ ـ أقطعه سوقاً في يثرب يعرف بمهروز، وقد تصدّق به النبيّ ﷺ على جميع المسلمين[٣].

٣ ـ أبو سفيان

أمّا أبو سفيان بن حرب فهو رأس المنافقين، ومن أكثرهم بغضاً وعداءً للنبيّ ﷺ وهبه عثمان مائتي ألف من بيت المال[٤].

٤ ـ الوليد بن عقبة

الوليد بن عقبة فاسق فاجر، وهو أخو عثمان من أُمّه، وقد استقرض من عبدالله بن مسعود أموالاً طائلة من بيت المال، فطلبها منه فأبى أن يدفعها،

---

(١) المعارف: ١٩٤. أنساب الأشراف: ٦: ١٣٧. تاريخ اليعقوبي: ٢: ٥٨.

(٢) الشافي في الإمامة: ٤: ٢٩٣ و ٢٩٤. أنساب الأشراف: ٦: ١٦٦.

(٣) المعارف: ١٩٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١: ١٩٨ و ١٩٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١: ١٩٩.

فرفع رسالة إلى عثمان يشكوه إليه، فكتب عثمان إلى ابن مسعود: إنّما أنت خازن لنا، فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال، فغضب ابن مسعود وطرح مفاتيح بيت المال، وقال: كنت أظنّ أنّي خازن للمسلمين، فأمّا إذا كنت خازناً لكم فلاحاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد أن استقال من منصبه[1].

فبيت المال في عرف عثمان ملك له وليس ملكاً للمسلمين، والحكم في ذلك للقرّاء الذين يقرأون بعقولهم لا بعواطفهم.

٥ ـ سعيد بن العاص

منحه عثمان مائة ألف درهم[2].

٦ ـ مروان بن الحكم

أمّا مروان الوزغ ابن الوزغ كما في الحديث النبويّ فهو صهر عثمان ومستشاره ووزيره، وجميع مقدّرات الدولة تحت تصرّفه، وقد وهبه الثراء العريض، ومنحه من الأموال ما يلي:

١ ـ أعطاه خمس غنائم أفريقيا، وقد بلغت خمسمائة ألف دينار. وأثار ذلك غضب المسلمين، وهجاه الشاعر عبدالرحمن بن حنبل الجمحي بقوله في قصيدة له:

أَحْلِفُ بِاللهِ رَبِّ الأَنَامِ ... مَا تَرَكَ اللهُ شَيْئاً سُدىٰ

وَلَكِنْ خَلَقْتَ لَنا فِتْنَةً ... لِكَي نَبْتَلِي بِكَ أَوْ تُبْتَلىٰ

فَإِنَّ الأَمِينَيْنِ قَدْ بَيَّنا ... مَنارَ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ الهُدىٰ

---

(١) أنساب الأشراف: ٦: ١٣ ـ ١٤.

فَـــمَا أَخَـــذا دِرْهَـــماً غِـيلَةً ... وَمَا جَعَلَا دِرْهَـماً فِـي الهَـوىٰ
دَعَـــوتَ اللَّـــعِينَ فَـــأَدْنَيْتَهُ ... خِـلَافاً لِسُـنَّةِ مَـنْ قَـدْ مَـضىٰ
وَأَعْطَيْتَ مَـرْوانَ خُـمْسَ العِبا ... دِ ظُلْماً لَهُمْ وَحَمِيتَ الحِمىٰ[1]

٢ ـ أعطاه ألفاً وخمسين أُوقية لا نعلم أنّها من الذهب أو الفضّة ، وقد أشاع ذلك التذمّر والسخط عليه[2].

٣ ـ أعطاه مائة ألف من بيت المال ، فجاء زيد بن أرقم خازن بيت المال بالمفاتيح وألقاها بين يدي عثمان ، وجعل يبكي ، فنهره وقال له : أتبكي إن وصلت رحمي ، فردّ عليه ابن أرقم وقال له في حديث : والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً.

فصاح به عثمان : ألقِ المفاتيح يابن أرقم ، فإنّا سنجد غيرك[3].

٤ ـ أعطاه فدكاً ، وهي التي منحها رسول الله ﷺ إلى بضعته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ، فصادرها أبو بكر وأضافها لبيت المال[4].

٥ ـ كتب له بخمس مصر[5].

هذه بعض صلاته للأمويّين الذين جهدوا على حرب الإسلام والرسول ﷺ.

---

(١) المعارف : ١٩٥. جواهر المطالب : ٢ : ١٧٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١ : ١٩٨. تاريخ أبي الفداء : ١ : ٢٣٦.

(٢) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٧٢. تاريخ أبي الفداء : ١ : ١٣٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لبن أبي الحديد : ١ : ٩٩. أنساب الأشراف : ٦ : ١٧٣. أمالي المفيد : ٦٩ ـ ٧٢. تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٦٤.

(٤) المعارف : ١٩٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١ : ١٩٨. تاريخ أبي الفداء : ١ : ٢٣٦.

(٥) الطبقات الكبرى : ٣ : ٦٤. تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ١٣٢.

وليس من الحقّ ولا من العدل أن يستأثر الأمويّون بأموال المسلمين، وقد شاعت فيهم الحاجة والبؤس والحرمان.

منحه للأعيان

وهب عثمان بن عفّان أموال المسلمين للوجوه والأعيان الذين يخاف سطوتهم، كان منهم:

١ ـ طلحة بن عبيد الله

وصله بمائة ألف، وكانت له عليه خمسون ألفاً فوهبها له وقال له: هي لك يا أبا محمّد على مروءتك[١].

٢ ـ الزبير بن العوّام

منح الزبير بن العوّام ستّمائة ألف، ولمّا قبضها حار في صرفها، وجعل يسأل عن التجارة بها فقيل له: اتّخذ الدور في الأقاليم والأمصار، فبنى إحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر[٢].

٣ ـ خباب بن الأرت

منح عثمان خباب بن الأرت أموالاً، وقد خان من الأموال التي قدّمت له أن يقلّل الله تعالى ثوابه، فقال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ ما أملك ديناراً

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ١٣٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣: ١٠٨. صحيح البخاري: ٤: ١٩٢ ـ ١٩٤. مروج الذهب: ٣: ٣٣٢ و ٣٣٣.

ولا درهماً، وإنّ في ناحية بيتي في تابوتي لأربعين ألف وافٍ[١]، ولقد خشيت أن تكون عجلت طيّباتنا في حياتنا الدنيا[٢].

إنّ هذه الأموال الهائلة التي وهبها عثمان لم تكن له، وإنّما هي ملك للمسلمين، وليس له أن ينفق أي شيء منها لأغراضه الشخصيّة حسبما قرّره الإسلام.

٤ ـ زيد بن ثابت

وهب أموالاً كثيرة جدّاً إلى زيد بن ثابت، وقد خلّف من الذهب والفضّة بعد وفاته ما يكسّر بالفؤوس عدا ما تركه من الأموال والضياع ما قيمته مائة ألف دينار[٣].

٥ ـ حسّان بن ثابت

وهبه عثمان الثراء العريض، واستولى على مشاعره وعواطفه.

إقطاع الأراضي

وذكر الناقدون لسياسة عثمان أنّه أقطع أراضٍ كثيرة في مختلف الأقطار الإسلاميّة لبعض الوجوه والأعيان، وأنّ اللازم حسب الموازين الشرعيّة أن توزّع على الفقراء والمحرومين وذوي الدخل المحدود الذين لا يجدون مسكناً لهم.

وكان ممّن أقطعهم عثمان عبيدالله بن عمر بن الخطّاب، فقد أقطعه أرضاً

---

(١) **الوافي**: درهم وأربعة دوانق ـ القاموس المحيط: ١٧٣١ـ وَفَيَ.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣: ١٦٦.

(٣) مروج الذهب: ٢: ٣٣٣.

واسعة في الكوفة سمّيت بكوفيّة ابن عمر، ويعود السبب في إقطاعه له أنّ عبيدالله قتل الهرمزان وابنته لأنّه كان صديقاً لأبي لؤلؤة الفارسي الذي اغتال عمر، وقد طالب خيار الصحابة عثمان بالقصاص منه لأنّه قتل مسلماً عمداً، فاعتذر عن ذلك وقال: ما كنت لأجمع على آل الخطّاب مصيبتين: اغتيال عمر، والقصاص من ولده، وأبعده عن المدينة إلى الكوفة، وأقطعه الأرض، وكان ممّن أقطعهم أرضاً واسعة:

١ ـ طلحة بن عبيدالله، أقطعه النشاستج[١].

٢ ـ عدي بن حاتم الطائي منحه الروحاء[٢].

٣ ـ وائل بن حجر الحضرمي، منحه ما والى زرارة[٣].

٤ ـ خباب بن الأرت، منحه صَعْنَبى[٤].

٥ ـ خالد بن عرفطة، أقطعه أرضاً عند حمام أعين.

٦ ـ الأشعث بن قيس الكندي، أعطاه طيزناباذ[٥].

٧ ـ جرير بن عبدالله البجلي، أقطعه أرضاً على شاطئ الفرات.

٨ ـ عبدالله بن مسعود، أقطعه أرضاً بالنهرين.

---

(١) **نَشَاستج**: ضيعة أو نهر بالكوفة، وكانت عظيمة كثيرة الدخل، وكانت من صوافي آل كسرى؛ ولمّا جلا عنها أهلها أقطعها عثمان لطلحة. وقيل: بل أعطاه أياها عوضاً عن مال كان له بحضرموت ـ معجم البلدان: ٥: ٣٣٠.

(٢) **الروحاء**: قرية من قرى الرحبة. المشترك وضعاً والمفترق صقعاً: ٢١١.

(٣) **زُرَارة** ـ بضم أوله ـ: قرية من قرى الكوفة ـ معجم ما استعجم: ٢: ٦٩٥ ـ ٦٩٦.

(٤) **صَعْنَبَى**: قرية بالسواد أقطعها عثمان للخباب بن الأرتّ ـ معجم البلدان: ٣: ٤٦٢ و ٤٦٣.

(٥) **طيزَنَاباذ**: موضع بين الكوفة والقادسية ـ معجم البلدان: ٤: ٦٢.

٩ ـ سعد بن مالك، أعطاه قرية هرمز[١].

١٠ ـ الزبير بن العوّام، أقطعة أرضاً.

١١ ـ أُسامة بن زيد، أقطعه أرضاً ثمّ باعها[٢].

وأقطع جماعة آخرين أراضٍ واسعة، وكان الأوْلى به أن يمنح هذه الأراضي للفقراء وذوي الدخل المحدود وينقذهم من مشاكل السكن، ولا يهبها للوجوه وذوي الثراء العريض، الأمر الذي عاد بالأضرار البالغة على المسلمين.

وعلّق محمّد كرد على سياسة عثمان الماليّة بقوله: «لقد أوجدت هذه السياسة المالية طبقتين من الناس؛ الأُولى: الطبقة الفاحشة في الثراء التي لا عمل لها إلّا اللهو والتبطّل، والأخرى: الطبقة الكادحة التي تزرع الأرض، وتعمل في الصناعة، وتشقى في سبيل أُولئك السادة من أجل الحصول على فتات موائدهم، وترتّب على فقدان التوازن في الحياة الاقتصادية، انعدام الاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية على السواء، وقد سارت الدولة الأموية في أيام حكمها على هذه السياسة فأخضعت المال للتيارات السياسية وجعلوه سلاحاً ضدّ أعدائهم ونعيماً مباحاً لأنصارهم»[٣].

وبهذا العرض الموجز ينتهي بنا الحديث عن سياسة عثمان الماليّة التي انتهجها، وقد شذّت عمّا قنّنه الإسلام من التحرّج في أموال الدولة، ووجوب إنفاقها في مكافحة الفقر والحرمان، ولزوم رصدها على تطوير الحياة الاقتصاديّة

---

(١) **هُرْمز**: قلعة بوادي موسى من أعمال الشراة، قرب الكرك بالشام. المشترك وضعاً والمفترق صقعاً: ٤٣٩ و ٤٤٠.

(٢) فتوح البلدان: ٢٧٢ و ٢٧٣.

(٣) الإدارة الإسلامية: ٨٢.

في بلاد المسلمين.

لقد سبّبت سياسة عثمان الماليّة نقمة المسلمين عليه، وإجماع الأخيار والمتحرّجين في دينهم على الإنكار عليه والإطاحة بحكومته.

ولاته وعمّاله

وشيء خطير جدّاً في سياسة عثمان الإداريّة أنّه عهد إلى بني أُميّة وآل أبي معيط بولاية الأمصار، وكان معظمهم من الفاسدين الذين لم تصقلهم التجارب، ولم تهذّبهم الأيّام، ولم يقم على تكوينهم الدين، فعاثوا فساداً في الأرض.

يقول المؤرّخون: إنّه شجّع عمّاله على الاستفادة من بيت المال، فأبو موسى الأشعري واليه على العراق سمح لأحد عمّاله بالتجارة في أقوات أهل العراق.

ويقول السيّد مير عليّ: «إنّ المسلمين في عهد عثمان تذمّروا من استبداد الحكّام واغتصابهم لأموال المسلمين»[١].

وهذا عرض لبعض عمّاله:

١ ـ سعيد بن العاص

أسند عثمان ولاية الكوفة إلى سعيد بن العاص، فولّاه هذا القطر العظيم بعد أن عزل عنه الوليد بن عقبة لاقترافه جريمة شرب الخمر، وقد استقبله الكوفيّون بمزيد من الكراهية والاحتقار وعدم الرضا، لأنّه كان شاباً مترفاً متهوّراً لا يتحرّج من اقتراف المنكر[٢].

---

(١) مختصر تاريخ العرب: ٥٥.

(٢) الطبقات الكبرى: ٥: ٣٢.

والظاهرة البارزة في حياته أنّه كان في منتهى الغرور، وهو الذي قال: إنّما السواد بستان قريش»، وقد أثار ذلك موجة من الغضب والاستياء والإنكار، فقد أنكر عليه الزعيم مالك الأشتر، وردّ عليه بقوله: «أتجعل مراكز رماحنا، وما أفاء الله تعالى علينا بستاناً لك ولقومك.

والله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصأصأ[1] منه».

وانضمّ قرّاء المصر وفقهاؤهم إلى تأييد مالك، والإنكار على سعيد، فعابوا عليه غروره وطيشه، فغضب مدير شرطته وردّ عليهم بعنف، فبادروا وضربوه ضرباً مبرحاً حتّى أُغمي عليه، وراحوا يذكرون مثالب عثمان ويذيعون سيّئات قريش وجرائم بني أُميّة.

ورفع سعيد رسالة إلى عثمان أخبره بالوضع الراهن، فأجابه عثمان بنفيهم إلى الشام، وكتب إلى معاوية يأمره باستصلاحهم، ولم يرتكب هؤلاء الأحرار جريمة حتّى ينفوا من أوطانهم.

وقامت جلاوزة سعيد بإخراجهم بالعنف والقوّة، فبعثهم إلى الشام، فلمّا انتهوا إليها أمر معاوية بإنزالهم في كنيسة، وأجرى عليهم بعض الرزق، وجعل يناظرهم، ويحبّذ لهم مسالمة السلطة والرضا بسياستها، إلّا أنّهم لم يستجيبوا له وينكرون مقالة سعيد: «السواد بستان لقريش»، فإنّه لا ميزة لهم على بقيّة المسلمين حتّى تختصّ بخيرات البلاد، وهي التي حاربت النبيّ ﷺ، وأنزلت بالمسلمين أقسى العقوبات، ويئس منهم معاوية، وخاف أن يفسدوا عليه أهل الشام، فكتب إلى عثمان يستعفيه من بقائهم في الشام، ولمّا انتهت إليه رسالته

---

(١) يتصأصأ: يخاف ويذلّ.

أمره بردّهم إلى الكوفة.

ولمّا عادوا إليها انطلقت ألسنتهم بذكر مثالب الأمويّين ومساوئهم، ورفع سعيد أمرهم إلى عثمان، فأمره بنفيهم إلى حمص والجزيرة.

فلمّا انتهوا إليها قابلهم واليه عبدالرحمن بن خالد بأعنف القول وأمرّه، وأمعن في إرهاقهم، فكان إذا ركب أمرهم أن يسيروا حول ركابه مشاة مبالغة في إذلالهم، ولمّا رؤوا تلك القسوة والإهانة والتنكيل أظهروا له الطاعة، فكتب بأمرهم إلى عثمان فأمره بردّهم إلى الكوفة.

ولمّا نزحوا عن حمص جعلوا طريقهم على يثرب لمقابلة عثمان، فلمّا انتهوا إليها قابلوا عثمان، وعرضوا عليه ما لاقوه من صنوف التنكيل، وفاجأهم سعيد فقد جاء في مهمّة رسميّة إلى عثمان، فأعرض عنهم، ولم يستجب عثمان لهم، وأمرهم بالطاعة لسعيد، وقفل القوم راجعين إلى الكوفة.

وفي الطريق التقوا بسعيد، فقابلوه بشدّة وعنف، وأقسموا أن لا يدخل الكوفة ما حملوا سيوفهم، وولّى سعيد منهزماً إلى عثمان يشكوهم إليه، ولم يجد عثمان بدّاً من عزله وإقصائه، وولّى غيره مكانه على كره[1].

وعلى أي حال، فقد نكّل عثمان بهؤلاء الأحرار لنقدهم سعيد بن العاص على مقالته: «السواد ملك لقريش» التي هي أحطّ القبائل في معاداتها للرسول ﷺ.

لقد استجاب عثمان لشابّ متهوّر طائش لأنّه من أُسرته وذويه، وكان ذلك من موجبات النقمة عليه.

---

(١) أنساب الأشراف: ٦: ١٧٣.

٢ ـ عبدالله بن عامر

وهو ابن خال عثمان، ولّاه إمارة البصرة بعد أن عزل عنها أبا موسى الأشعري، وكان في ميعة الشباب لم يتجاوز الخمسة وعشرين سنة[١].

اختاره بهذا السنّ وهو لا يفقه أي حكم من أحكام الإسلام، ولم ينتخب لولاية البصرة من أبناء الأوس والخزرج الذين فقهوا التعاليم الإسلاميّة، ولم ينتخب أحداً من أبناء الأسرة النبويّة ليستفيد الناس من هديه وسلوكه، وقد سار عبدالله بسيرة ترف وبذخ، فكان فيما وصفه المؤرّخون ولّاجاً خرّاجاً[٢].

وقد لبس الخزّ في البصرة، وكانت دكناء، فقال الناس: لبس الأمير جلد دبّ، فغيّر لباسه ولبس جبّة حمراء[٣].

وقد أنكر سياسته وسيرته عامر بن عبدالله التميمي، كما عاب على عثمان سلوكه وسيرته وولاته.

واجتمع فريق من الأخيار والصلحاء في الكوفة، وعرضوا إلى سياسة عثمان وانحرافها عن الدين، فرأوا أن يوفدوا شخصاً يمثّلهم، ويعرض على عثمان بعض المؤخذات من سيرته وسلوكه، واختاروا عامر بن عبدالله التميمي ممثّلاً لهم.

ولمّا التقى به قال له: إنّ أناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت أموراً عظاماً، فاتّق الله تعالى وتب إليه، وانزع عنها.

---

(١) الاستيعاب: ٣: ٩٣٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ١٥. الكامل في التاريخ: ٣: ٤٩.

(٣) الطبقات الكبرى: ٥: ٤٧. تاريخ مدينة دمشق: ٢٩: ٢٦١. أسد الغابة: ٣: ١٨٥.

واحتقره عثمان، والتفت إلى حاشيته فقال لهم: انظروا إلى هذا، فإنّ الناس يزعمون أنّه قارئ، وهو يكلّمني في المحقّرات، فوالله ما يدري أين الله ؟

ولا نعلم بالمحقّرات التي تكلّم بها عامر، وإنّما كلّمه بما يصلحه في دينه ودنياه. لقد أمره بتقوى الله وطاعته والاستقامة في سلوكه، وإيثار المصلحة العامّة للمسلمين.

والتفت إليه عامر ساخراً فقال: أنا لا أدري أين الله تعالى ؟

وصاح به عثمان: نعم والله ما تدري أين الله ؟

وأجابه عامر: إنّي لأدري إنّ الله تعالى بالمرصاد.

وغضب منه عثمان، فأرسل خلف مستشاريه وعرض عليهم نقمة المعارضين له وحديث عامر، فأشار عليه ابن خاله عبدالله بن عامر أن يبعثهم إلى ساحات الجهاد ليكونوا في شغل عنه.

وأشار عليه آخرون بالمسالمة والصفح، إلّا أنّه استجاب لرأي عامر، فعزم على تجميرهم في البعوث وحرمانهم من العطاء حتّى يضطرّوا إلى طاعته.

وقفل عبدالله بن عامر إلى البصرة، فعمد إلى التنكيل بهم، فأوعز إلى عملائه بأن يشهدوا على عامر بن عبدالله أنّه ارتدّ عن الإسلام، وأنّه لا يأكل اللحم، ولا يرى الزواج، ولا يشهد الجمعة، ورفع شهادتهم إلى عثمان، فأمر بنفيه إلى الشام، وأن يحمل على قتب ليشقّ عليه.

ونفي عامر إلى الشام فأنزله معاوية الخضراء[1]، وبعث بجارية إليه لتكون عيناً عليه، وأشرفت الجارية عليه فرأته يقوم بالليل مصلّياً، ولا يتناول من طعام

---

(١) **الخضراء**: دار لمعاوية قد ابتناها في دمشق ـ أنساب الأشراف: ٦: ١٦٧.

معاوية شيئاً، وكان يتناول كسراً من الخبز اليابس ويجعلها في الماء تحرّجاً أن يدخل في جوفه شيء من الحرام، وأخبرت الجارية معاوية بشأنه، فكتب إلى عثمان بأمره، فأمره بصلته[١].

وقد نقم المسلمون على عثمان وعابوا عليه ما اقترفه في شأن هذا الرجل الصالح الذي أمره بتقوى الله تعالى، والعدل في الرعيّة.

وعلى أي حال، فقد بقي عبدالله بن عامر والياً على البصرة، وقد سار فيها سيرة لم يألفها البصريّون من قبل، ولمّا قتل عثمان نهب ما في بيت المال وهرب إلى مكّة، وسار في مركب عائشة وطلحة والزبير، وأمدّهم بالأموال التي نهبها ليستعينوا بها على حرب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي أشار عليهم بالبقاء في البصرة[٢].

٣ ـ الوليد بن عقبة

عهد عثمان بولاية الكوفة إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخيه من الرضاعة، بعد أن عزل عنها سعد بن أبي وقّاص الزهري، وحينما قدم الوليد إلى الكوفة نفر منه الكوفيّون وقالوا: بئسما استقبلنا به ابن عفّان، هل من العدل أن ينزع عنّا ابن أبي وقّاص الهيّن اللّين ويبعث بدلاً له أخاه الوليد الأحمق الماجن الفاجر، ولم يسعهم إلّا الرضا والقبول به، وقالوا: إنّما عثمان أراد كرامة أخيه بهوان

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٦٥ و ٦٦. تاريخ مدينة دمشق: ٢٦: ٨ ـ ١١. أسد الغابة: ٣: ٢٨ و ٢٩، الحديث ٢٧١٢. الإصابة: ٥: ٨٦ ـ ٨٧، الحديث ٦٢٨٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ٥: ٤٨ و ٤٩. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ١٧٢ و ١٧٣. الثقات: ٢: ٢٧٩. تاريخ مدينة دمشق: ٢٩: ٢٦١ و ٢٦٢. أسد الغابة: ٣: ١٩٢.

أُمّة محمّد ﷺ[١].

وأجمع المؤرّخون والرواة على أنّه كان من فسّاق بني أُميّة، ومن أكثرهم تحلّلاً ومجوناً، وهو مَن أخبر النبيّ ﷺ أنّه من أهل النار[٢].

وكان أبوه عقبة من ألدّ أعداء رسول الله ﷺ، فكان يأتي بالفرث ويطرحه على باب داره[٣].

وقد بصق في وجه النبيّ ﷺ فهدّده بأنّه إن وجده خارجاً من جبال مكّة يأمر بضرب عنقه.

فلمّا كانت واقعة بدر امتنع من الخروج، فأصرّ عليه أصحابه بالخروج معهم، فأخبرهم بمقالة النبيّ ﷺ فأغروه وخدعوه، وقالوا له: لك جمل أحمر لا يدركه أحد، فاستجاب لهم وخرج معهم، فلمّا هزم الله تعالى المشركين قبض المسلمون عليه، وجاءوا به إلى النبيّ ﷺ أسيراً، فأمر علياً بقتله، فقام إليه وضرب عنقه[٤].

وقد أُترعت نفس الوليد بالحقد البالغ على النبيّ ﷺ، لأنّه وتره بأبيه، وقد أسلم مع كفّار قريش إسلاماً ظاهرياً خوفاً من السيف الذي حصد رأس أبيه، وقد نزلت بعض الآيات في فسقه[٥].

---

(١) الشافي في الإمامة: ٤: ٢٥١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ١٧ و ١٨.

(٢) مروج الذهب: ٢: ٣٣٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ١: ٢٠١. الجامع الصغير: ٢: ٢٩٧، الحديث ٦٤٢٥.

(٤) مجمع البيان: ٧: ٢٦٠ و ٢٦١. الغدير: ٨: ٢٧٣. أسباب النزول: ٢٣٤. سبل الهدى والرشاد: ٢: ٤٦٨ و ٤٦٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٢٥ و ٢٦. الدرّ المنثور: ٦: ٢٤٩ ـ ٢٥٣.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

وفي أثناء ولايته كان لا يبارح الخمر، وصلّى بالناس صلاة الصبح وهو ثمل أربع ركعات، وصار يقول في ركوعه وسجوده: اشرب واسقني، ثمّ قام في المحراب وسلّم وقال للمصلّين خلفه: هل أزيدكم ؟

فقال له ابن مسعود: لا زادك الله تعالى خيراً، وأخذ نعله وضرب بها وجهه، فدخل القصر وهو ثمل مترنّح والحصباء تأخذه[1].

ويقول الحطيئة في هجائه:

تَكَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ وَزَادَ فِيها ... عَلَانِيَةً وَجَاهَرَ بِالنِّفَاقِ

وَمَجَّ الخَمْرَ فِي سَنَنِ المُصَلَّى ... وَنَادىٰ والجَمِيعُ إِلَى افْتِرَاقِ

أَزِيدُكُمُ عَلىٰ أَنْ تَحْمَدونِي ... فَمَا لَكُمُ وَمَا لِي مِن خَلَاقِ[2]

وأسرع جماعة من خيار الكوفة إلى يثرب يشكونه إلى عثمان وصحبوا معهم خاتمه الذي انتزعوه منه وهو سكران، ولمّا قابلوا عثمان وشهدوا عنده بشرب الوليد للخمر زجرهم عثمان وقال لهم: ما يدريكم أنّه شرب الخمر ؟

فقالوا له: إنّها الخمر التي كنّا نشربها في الجاهليّة، وأعطوه خاتمه الذي انتزعوه منه في حال سكره، فغضب عثمان ودفع في صدورهم، وقابلهم بأقسى القول، فخرجوا منه وانطلقوا إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخبروه بموقف عثمان.

فانبرى إليه الإمام عليه السلام وقال له: **دَفَعْتَ الشُّهُودَ، وَأَبْطَلْتَ الْحُدُودَ ؟!**

« يقول ابن عبد البرّ في الاستيعاب: ٤: ١٥٥٣ و ١٥٥٤: «لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أنّ الآية نزلت في الوليد».

(١) مروج الذهب: ٢: ٣٣٤ و ٣٣٥. السيرة الحلبيّة ٢: ٥٩٢ و ٥٩٣.

(٢) ديوان الحطيئة: ٢٦٠. الأغاني: ٥: ٩١. الاستيعاب ٤: ١٥٥٥.

وخاف عثمان من عواقب الأُمور، فقال للإمام عليه السلام: ما ترى؟

- **أَرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلىٰ صاحِبِكَ، فَإِنْ أَقاموا الشَّهادَةَ فِي وَجْهِهِ، وَلَمْ يُدْلِ بِحُجَّةٍ أَقَمْتَ عَلَيْهِ الْحَدَّ.**

ولم يجد عثمان بدّاً من الإذعان لقول الإمام عليه السلام، فكتب إلى الوليد يأمره بالشخوص إليه، ولمّا وصلت الرسالة إليه نزح من الكوفة إلى يثرب.

ولمّا مثل بين يدي عثمان دعا بالشهود فأقاموا عليه الشهادة.

ولم يدلِ بأيّ حجّة للدفاع عن نفسه، وخضع بذلك لإقامة الحدّ، ولم ينبرِ أحد ليقيم عليه الحدّ خوفاً من عثمان، فقام إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فسبّه الوليد وقال له: يا صاحب مكس[1].

وجعل يراوغ ويدافع عن نفسه، حتّى وقع على الأرض، فعلاه الإمام عليه السلام بالسوط، وتميّز عثمان غيظاً فصاح بالإمام عليه السلام: ليس لك أن تفعل به هذا.

فردّ عليه بما تقتضيه السنّة قائلاً: **بَلىٰ وَشَرٌّ مِنْ هٰذا إِذا فَسَقَ، وَمَنَعَ حَقَّ اللهِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ**[2].

وحكت هذه البادرة مدى تهاون عثمان في إقامة حدود الله تعالى التي يجب أن يكون الخليفة أوْلى بها، وأشدّ صرامة من غيره.

وعلّق العلائلي رحمه الله على موقف عثمان بقوله: «هذه القصة تضع بين أيدينا شيئاً جديداً غير العطاء الذي يرجع إلى مكان العاطفة، تضع بين أيدينا صورة من الإغضاء عن مجاوزة السلطة للقانون، والإغضاء في واقعة دينية، بحيث يجب

---

(١) **المكس**: النقص والظلم ـ لسان العرب: ١٣: ١٦٠ ـ مَكَسَ.

(٢) مروج الذهب: ٢: ٣٣٥ و ٣٣٦.

على الخليفة أن يكون أوّل من يغار عليها، وإلّا هُدِّد مكانه وأفسح للناس مجال التقول والتجريح، وبالأخص حين جاءت حكومته عقيب حكومة عمر التي عرفت بالشدة فيما يتعلق بالحدود الدينية حتى لو كان من أقرب ذوي القربى.

إذن فهذه المبالغة في الإغضاء والصفح والمجاوزة لا ترجع إلى مكان العاطفة وحدها، إن كانت، بل إلى الحزبية أيضاً حتى تتناصر مجتمعة»[١].

وعلى أي حال، فإنّ ولاية الوليد على الكوفة قد تركت أثراً سيّئاً في نفوس المسلمين، وفتحت باباً للخلاعة والمجون، فقد أسّست فيها دور للغناء والطرب، وكان المغني فيها عبدالله بن هلال الذي لقّب بصاحب إبليس، ولم تعد الكوفة ـ كما كانت ـ مدينة مقدّسة تضمّ خيار الصحابة والتابعين[٢].

٤ ـ عبدالله بن سعد

استعمل عثمان على مصر أخاه من الرضاعة عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وأسند إليه أخذ الخراج وإقامة الصلاة[٣].

وكان من أكثر المشركين عداء للنبيّ ﷺ، وهو القائل: «إنّي أصرفه حيث أُريد»، وقد أهدر النبيّ ﷺ دمه، وإن وجد متعلّقاً بأستار الكعبة، وقد هرب بعد فتح مكّة، وبعدما اطمئنّ أهل مكّة أتى به عثمان إلى النبيّ ﷺ ليعفو عنه، فصمت النبيّ ﷺ طويلاً، ثمّ آمنه وعفا عنه.

فلمّا انصرف عثمان التفت النبيّ ﷺ إلى أصحابه، فقال لهم: **ما صَمَتُّ إلّا**

---

(١) الحسين بن عليّ: ٣٣.

(٢) الأغاني: ١: ١٣٢، و: ٢: ٢٤١ ـ ٢٥٤. تاريخ مدينة دمشق: ٤٥: ١٠٧.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٨٩. المعجم الكبير: ٦: ٦٦، الرقم ٥٥٢٩. الولاة والقضاة: ١١.

لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ.

فقال له رجل من الأنصار: هلّا أومأت إليَّ ؟

فقال النبيّ ﷺ: **إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ**[1].

ولمّا ولي عبدالله مصر ساس المصريّين سياسة بطش وعنف، وأظهر الكبرياء والجبروت، فضجروا منه، فخفّ خيارهم إلى عثمان يشكونه، فبعث إليه رسالة يستنكر فيها سيرته وسياسته في القطر، إلّا أنّه لم يعن بها وراح مصرّاً على غيّه وجبروته، وعمد إلى مَن شكاه إلى عثمان فقتله، وشاع التذمّر والسخط عليه، فتشكّل وفد كبير كان عددهم سبعمائة فخفّوا إلى عثمان، ونزلوا في الجامع وشكوا إلى الصحابة ما صنع بهم ابن أبي سرح.

وانبرى طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام قاسٍ، وأرسلت إليه عائشة تطالبه بإنصاف القوم، وكلّمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له:

إِنَّما يَسْأَلُكَ الْقَوْمُ رَجُلاً مَكانَ رَجُلٍ، وَقَدِ ادَّعُوا قِبَلَهُ دَماً، فَاعْزِلْهُ عَنْهُمْ وَاقْضِ بَيْنَهُمْ، فَإِنْ وَجَبَ عَلَيْهِ حَقٌّ فَأَنْصِفْهُمْ مِنْهُ.

واستجاب عثمان على كره لهم، وقال لهم: اختاروا رجلاً أُولّيه عليكم.

فأشاروا عليه بمحمّد بن أبي بكر، فكتب عهده إلى مصر ووجّه معه جماعة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح، ونزحوا عن المدينة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٤٠. سنن أبي داود: ٣: ٥٩، الحديث ٢٦٨٣. أُسد الغابة: ٣: ١٥٥. الاستيعاب: ٣: ٩١٨، وهذه الحادثة قد ذكرها أكثر الرواة وأصحاب السير.

فلمّا بلغوا الموضع المعروف بذي خُشُب[١] وإذا بقادم من المدينة، تأمّلوه فإذا هو ورش غلام عثمان، ففتّشوه وإذا به يحمل رسالة من عثمان إلى ابن أبي سرح يأمره فيها بالتنكيل بالقوم، وتأمّلوا الكتاب فإذا هو بخطّ مروان، فقفلوا راجعين إلى المدينة، وقد صمّموا على خلع عثمان أو قتله[٢].

هذه سياسة عثمان سوداء لا ظلّ فيها للعدل، قد تمرّدت على جميع الأعراف والقيم الإنسانيّة.

٥ ـ معاوية بن أبي سفيان

استعمل عثمان معاوية على الشام، وإنّما استعمله قبله عمر بن الخطّاب، وبالغ في تسديده وتكريمه، فكان في كلّ سنة يحاسب عمّاله إلّا معاوية، وأضفى عليه أكرم النعوت، فقال: إنّه كسرى العرب، وفتى قريش، ولا نعلم أي مأثرة لهذا الذئب الجاهلي حتّى يقابل بالحفاوة والتكريم.

وفي أيّام عثمان كان من أهمّ المعنيّين به، فزاد في نفوذه، بسط سلطانه، ومهّد له الطريق لنقل الخلافة الإسلاميّة له.

وأكّد هذا الرأي الدكتور طه حسين بقوله: «وليس من شكّ في أنّ عثمان هو الذي مهد لمعاوية ما أُتيح له من نقل الخلافة ذات يوم إلى آل أبي سفيان، وتثبيتها في بني أمية، فعثمان هو الذي وسّع على معاوية في الولاية فضم إليه فلسطين وحمص، وأنشأ له وحدة شامية بعيدة الأرجاء[٣]، وجمع له قيادة الأجناد

---

(١) **ذو خُشُب**: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة ـ معجم البلدان: ٢: ٤٢٦.

(٢) أنساب الأشراف: ٦: ١٣٤ ـ ١٣٦. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٨٩ ـ ١٠٢.

(٣) الذي وسّع على معاوية في الولاية وضمّ إليه فلسطين وحمص وغيرها هو عمر لا عثمان.

الأربعة، فكانت جيوشه أقوى جيوش المسلمين، ثم مدّ له في الولاية أثناء خلافته كلها كما فعل عمر، وأطلق يده في أمور الشام أكثر ممّا أطلقها عمر، فلما كانت الفتنة نظر معاوية فإذا هو أبعد الأمراء بالولاية عهداً، وأقواهم جنداً، وأملكهم لقلب رعيّته»[1].

إنّ عثمان قد مدّ في سلطان معاوية حتّى صار من أقوى ولاته، وأعظمهم نفوذاً، وأصبح قطره من أهمّ الأقطار الإسلاميّة وأمنعها، وأكثرها هدوءاً واستقراراً، كما يقول الدكتور طه حسين.

وبهذا نطوي الحديث عن بعض ولاة عثمان وجميعهم من بني أُميّة وآل أبي معيط، ولم يمنحهم هذه المناصب إلّا اثرة ومحاباة وتقوية لنفوذهم، وحملهم على رقاب المسلمين.

وعلّق السيّد مير علي الهندي على ولاة عثمان الذين هم من الأمويّين بقوله: «كان هؤلاء هم رجال الخليفة المفضلون، وقد تعلقوا بالولايات كالعقبان الجائعة، فجعلوا ينهشونها، ويكدسون الثروات منها بوسائل الإرهاق التي لا ترحم»[2].

الناقمون على عثمان وتنكيله بهم

ونقم خيار المسلمين وصلحاؤهم وعابوا على عثمان سياسته التي شذّت عن سنّة رسول الله ﷺ، وخالفت سيرته وهديه، وما شرّعه من الأحكام التي منها أن يحتاط وليّ أمر المسلمين فيمن يولّيه عليهم، وأن يكون من المتورّعين

---

(١) المجموعة الكاملة، الفتنة الكبرى: ٤: ٣١٥.

(٢) روح الإسلام: ٩٠.

في أُمور الدين، والعالمين بأحكام الإسلام ونظم الإدارة، وأن لا تكون توليتهم محاباة أو عاطفة، وأن يحتاط أشدّ ما يكون الاحتياط في أموال الدولة، وليس له أن ينفق منها قليلاً أو كثيراً في غير صالحهم، وتطوير حياتهم، ولم يعن عثمان بشيء من ذلك، كما ذكرناه في البحوث السابقة.

كما أمعن عثمان بالتنكيل بالناقدين له، وأنزل بهم أقسى العقوبات وأشدّها بلاءً، ولم يرع بما لبعضهم من المكانة الدينيّة والاجتماعيّة، وكان من أعلامهم الصحابي العظيم:

١ ـ عمار بن ياسر رضي الله عنه

ومكانة عمّار في الإسلام متميّزة، فهو ابن ياسر وسميّة اللذين استشهدا تحت وطأة التعذيب في سبيل الإسلام، كما أنّه من ألمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جاهد أعظم ما يكون الجهاد في فجر الدعوة الإسلاميّة، وقاسى أعظم المحن وأشدّها بلاء من جبابرة قريش.

وقد اهتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله بشأنه، فسمع قريش تنال منه، فاغتاظ وقال: **مـا لَـهُمْ وَلِعَمّارٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النّارِ، إِنَّ عَمّاراً جِلْدَةٌ ما بَيْنَ عَيْنَيَّ وَأَنْفي، فَإِذَا بَلَغَ ذلِكَ مِنَ الرَّجُلِ فَلَمْ يَسْتَبِقْ فاجْتَنِبُوهُ**[1].

وقد نزلت في عظيم منزلته بعض الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ**

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام: ٢: ٤٩٧. شرح الأخبار: ١: ٤١٢. العمدة لابن البطريق: ٣٢٤. مجمع الزوائد: ٧: ٢٤٣. الشافي في الإمامة: ٤: ٢٩٢ و ٢٩٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٥٢ و: ٨: ١٠.

قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ ﴾[١]، ومنها ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[٢].

وقد نصّ على نزول الآيتين في حقّه معظم المفسّرين.

وقد لازم النبيّ صلى الله عليه وآله فلم يفارقه، وبعد انتقاله إلى حظيرة القدس لازم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسار بخطّه، وتخلّف عن بيعة أبي بكر لأنّه رأى الإمام عليه السلام أحقّ بمقام النبيّ صلى الله عليه وآله من غيره، فهو أخوه وابن عمّه وباب مدينة علمه، ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى.

وبعد ما فرض عمر بن الخطّاب عثمان خليفة على المسلمين بما ابتدع من الشورى المزيّفة كان عمّار من أشدّ الناقمين على عثمان لسوء سياسته، وكان من مواقفه معه:

١ ـ بعد ما رفع أعلام الصحابة مذكّرة لعثمان عرضوا فيها لإحداثه ومخالفاته للسنّة وطالبوه بالكفّ عنها، أخذها عمّار ودفعها إليه، فقرأ صدراً منها، وقال لعمّار: أعلَيَّ تقدم من بينهم؟

---

(١) الزمر ٣٩: ٩.

وقد نصّ على نزولها في عمّار رضي الله عنه؛ ابن سعد في طبقاته: ٣: ٢٥٠. القرطبي في تفسيره: ١٥: ٢٣٩. الواحدي في أسباب النزول: ٢٦٠. ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٤٣: ٣٧٧.

(٢) الأنعام ٦: ١٢٢.

وقد نصّ على نزولها في عمّار رضي الله عنه؛ ابن كثير في تفسيره: ٢: ١٥٠. السيوطي في الدرّ المنثور: ٣: ٣٥٢، وكذلك ابن عبد البرّ في الاستيعاب: ٣: ١١٣٧. ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ١٠: ١٠٣. ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٤٣: ٣٧٨.

- إنّي لأنصحهم لك.
- كذبت يابن سميّة.
- أنا والله ابن سميّة وياسر.

فأوعز عثمان إلى جلاوزته بمدّ يديه ورجليه، وضربه عثمان على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً فأُغمي عليه[1].

أهكذا يقابل عمّار بالضرب والتنكيل وهو خير من عثمان وسائر الأمويّين ؟!

٢ ـ من مؤاخذات عمّار لعثمان أنّه لمّا نكّل بالصحابي العظيم أبي ذرّ صاحب رسول الله ﷺ ونفاه إلى الربذة وتوفّي فيها جائعاً غريباً حزن عليه المسلمون، فقال عثمان مستهزئاً: رحمه الله.

فاندفع عمّار ينكر عليه استهزاءه وسخريته قائلاً: رحمه الله من كلّ أنفسنا.

وثار عثمان فقابل عمّار بأفحش القول قائلاً: يا عاضّ أير أبيه، أتراني ندمت على تسييره ؟

وهذا الكلام المرذول لا يليق بأي رجل عادي فضلاً عن عثمان الذي تستحي منه الملائكة كما يقولون.

وأمر عثمان جلاوزته فدفعوا عمّاراً وأرهقوه، كما أمر بنفيه إلى الربذة، فراحت بنو مخزوم إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فسألوه أن يكلّم عثماناً في شأنه ولا ينفيه إلى الربذة.

فانطلق الإمام نحوه وقال له: **اتَّقِ اللهَ، فَإِنَّكَ سَيَّرْتَ رَجُلاً صَالِحاً مِنَ**

---

(١) أنساب الأشراف: ٦: ١٦٢ و ١٦٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٥٠.

الْمُسْلِمِينَ فَهَلَكَ فِي تَسْيِيرِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ الْآنَ تُرِيدُ أَنْ تَنْفِيَ نَظِيرَهُ ؟

فثار عثمان وصاح بالإمام عليه السلام وقال: أنت أحقّ بالنفي منه.

وسخر منه الإمام عليه السلام وقال: **رُمْ ذلِكَ إِنْ شِئْتَ.**

واجتمع المهاجرون فعذلوه ولاموه على ذلك، فاستجاب وعفا عن عمّار[١].

٣ ـ وكان من مؤاخذات عمّار لعثمان أنّه استأثر بالسفط الذي في بيت المال، وكان يضمّ جواهراً لا تثمّن بقيمة، فأنكر عليه الإمام عليه السلام وأيّده عمّار، فغضب عثمان منه، وأوعز إلى شرطته بحمله إلى داره، فضربه ضرباً مبرحاً فغشي عليه، وحمل إلى منزل أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة وهو مغشيّ عليه، ولم يفق حتّى فاتته صلاة الظهرين والمغرب، فلمّا أفاق توضّأ وصلّى ما فاتته من الصلاة وقال: «الحمد لله تعالى، ليس هذا أوّل يوم أُوذينا فيه لله».

وأحدث الاعتداء على عمّار موجة من الغضب، فخرجت عائشة ومعها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله وراحت تقول: «ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبْلَ بعدُ».

وغضب عثمان، ولم يدرِ ما يقول ويعتذر عن خطيئته[٢].

لقد كان الاعتداء على الصحابي الجليل عمّار من الأحداث الجسام التي اقترفها عثمان، فإنّه لم يرع مكانة عمّار وسابقته في الإسلام، فاعتدى عليه بغير حقّ، وبالغ في إيذائه والتنكيل به، لأنّه أمره بالعدل.

---

(١) أنساب الأشراف: ٦: ١٦٨ و ١٦٩. تاريخ اليعقوبي: ٢: ٧٠ و ٧١. الفتوح: ٢: ٣٧٨ و ٣٧٩.

(٢) أنساب الأشراف: ٦: ١٦١ و ١٦٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٤٩.

٢ ـ أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

وأبو ذرّ ثاني شخصية في الإسلام بعد عمّار نكّل به عثمان أقسى التنكيل وأفظعه، ولم يرع عثمان مكانته من النبيّ صلى الله عليه وآله وعظيم منزلته عنده، فكان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً من أصحابه، وكان يسرّ إليه حين لا يسرّ إلى أحد[١].

وهو أحد الثلاثة الذين أحبّهم الله تعالى وأمر نبيّه صلى الله عليه وآله بحبّهم، كما أنّه أحد الثلاثة الذين تشتاق لهم الجنّة[٢].

وكان أبو ذرّ من أشدّ الناقمين على عثمان حينما استأثر الأمويّون بخيرات الدولة، وكان أبو ذرّ لهم بالمرصاد يشيع بين الناس مثالبهم وخياناتهم لأموال المسلمين، وقد نهاه عثمان فلم ينته، وانطلق بشدّة إلى إنكار المنكر ومقاومة الباطل، فكان يقف أمام الذين منحهم عثمان الثراء العريض ويتلو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣].

وضاق مروان ذرعاً من أبي ذرّ فشكاه إلى عثمان، فأرسل إليه ينهاه عن ذلك، فأبى أبو ذرّ وقال: «أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب مَن ترك أمر الله؟ فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخيرلي من أن أسخط الله برضاه»[٤].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٦: ٢٥٥ و ٢٥٦، الحديث ٢١٢١٧. تاريخ مدينة دمشق: ٦٨: ١١٤. كنز العمّال: ١٣: ٣١١، الرقم ٣٦٨٨٦.

(٢) شرح الأخبار: ٢: ٤٦٥. تاريخ مدينة دمشق: ٢١: ٤١٠ و ٤١١. ذخائر العقبى: ٨٩. مجمع الزوائد: ٩: ٣٣٠.

(٣) التوبة ٩: ٣٤.

(٤) أنساب الأشراف: ٦: ١٦٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٥٤.

اعتقاله في الشام

واستمرّ أبو ذرّ بشدّة يوالي الإنكار على عثمان، يبغي بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة، فحنق عليه عثمان ونفاه إلى الشام، فلمّا انتهى إليها رأى منكرات معاوية كسرى العرب وبدعه التي منها نهبه لبيت مال المسلمين وتصرّفه فيه بغير وجه مشروع، فجعل ينكر عليه، ويذيع بين المسلمين مساوئ عثمان، وكان ممّن أنكر على معاوية حين قال: «المال مال الله».

فقال له: المال مال المسلمين.

كما أنكر عليه بناءه الخضراء الذي أنفق عليه الأموال الهائلة، فقال له: «يا معاوية، إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف».

وكان يقول لأهل الشام: «والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها؛ والله ما هي في كتاب الله، ولا في سنة نبيه، واللهِ إنّي لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحيا، وصادقاً يكذب وأثَرَة بغير تقىً، وصالحاً مستأثراً عليه»[1].

وأخذ أبو ذرّ المجاهد يبثّ الوعي الاجتماعي ويدعو إلى إنصاف الفقراء والمحرومين، ويحرّض الفقراء على استرجاع حقوقهم من الفئة الحاكمة، فخاف الطاغية معاوية أن تندلع عليه نار الثورة، فنهى الناس من الاجتماع به، وخاطبه قائلاً: يا عدوّ الله، تؤلب الناس علينا، وتصنع ما تصنع! أما إنّي لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمّد من غير إذن أميرالمؤمنين عثمان لقتلتك.

---

(١) الشافي في الإمامة: ٤: ٢٩٣ ـ ٢٩٨. أنساب الأشراف: ٦: ١٦٦ و ١٦٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٥٥ و ٥٦.

فردّ عليه البطل العظيم قائلاً: «ما أنا بعدوٍّ لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر»[١].

وظلّ أبو ذرّ يواصل نشاطه ويدعو إلى إنقاذ المجتمع من هذا الذئب غير حافل بسلطانه، وفزع معاوية وكتب إلى سيّده عثمان يخبره بخطر أبي ذرّ على سلطانه، ويلتمس منه أن ينقله عن الشام، فكتب إليه عثمان أن يرسله على أغلظ مركب حتّى يعاني الجهد، فأرسله معاوية مع جلاوزة لا يعرفون مكانته، ولا يحترمون مقامه، فلم يسمحوا له أن يستريح من جهد الطريق، ومضوا مسرعين في سيرهم لا يلوون على شيء حتّى تسلّخت بواطن أفخاذه وكاد أن يموت، وانتهى الركب إلى يثرب، وكان أبو ذرّ منهوكاً خائر القوى، فقال له عثمان بغضب وعنف: أنت الذي فعلت وفعلت.

فأجابه أبو ذرّ: نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك -يعني معاوية- فاستغشني.

فصاح به عثمان: كذبت، ولكنّك تريد الفتنة وتحبّها، وقد أنغلت علينا الشام.

ونصحه أبو ذرّ أن يسير بسيرة الشيخين، فصاح به عثمان: ما لَكَ ولذلك لا أُم لك.

وصارحه أبو ذرّ فقال: والله ما وجدت لي عذراً إلاّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والتفت عثمان إلى حضّار مجلسه قائلاً: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب، إمّا أن أضربه، أو أحبسه، أو أقتله، فإنّه فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨: ٢٥٦ و ٢٥٧.

أرض الإسلام.

أبو ذرّ صاحب رسول الله ﷺ الذي وعى الإسلام وأدرك قيمه التي تناهض التلاعب بمقدّرات المسلمين، وهو في عرف عثمان كذّاب يستحقّ القتل والتنكيل!!

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً في المجلس فراح يندّد بعثمان ويشير عليه قائلاً: أَمّا أَنا فَأُشِيرُ عَلَيْكَ بِما قالَ مُؤْمِنُ آل فِرْعَوْنَ: ﴿إِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[1].

ولم يحفل أبو ذرّ بعثمان، ولم يرهبه سلطانه، ومضى في دعوته بإنكاره لموبقات عثمان ويقول له: تستعمل الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرب أولاد الطلقاء!

وأخذ يذيع بين المسلمين ما سمعه من رسول الله ﷺ في ذمّ الأمويّين وخطرهم على الإسلام قائلاً:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَمُلَتْ بَنُو أُمَيَّةَ ثَلَاثِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا بِلَادَ اللهِ دُوَلاً، وَعِبادَ اللهِ خَوَلاً، وَدِينَ اللهِ دَغَلاً»[2].

وأصدر عثمان أوامره بمنع مجالسة أبي ذرّ والاستماع إلى حديثه لأنّه يأمر

---

(١) غافر ٤٠: ٢٨.

(٢) الشافي في الإمامة: ٤: ٢٩٥ ـ ٢٩٨. أنساب الأشراف: ٦: ١٦٦ ـ ١٧٠. تاريخ اليعقوبي: ٢: ٦٧ ـ ٦٩. الفتوح: ٢: ٣٧٣ ـ ٣٧٦. مروج الذهب: ٢: ٣٣٩ ـ ٣٤٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨: ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

بالمعروف وينهى عن المنكر، ويندّد بسياسته القائمة على الظلم.

اعتقاله في الربذة

واستمرّ أبو ذرّ في جهاده وإنكاره للسياسة الأمويّة، لم يثنه عن عزمه الجبّار تهديد عثمان واضطهاده، ورأى عثمان أن ينفيه عن سائر الأمصار الإسلاميّة، ويعتقله في بعض المجاهل التي لا سكن فيها، فأوعز إلى جلاوزته بإحضاره، فلمّا مثل عنده بادره أبو ذرّ قائلاً: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله، ورأيت أبا بكر وعمر، هل رأيت هذا هديهم؟ أما إنّك لتبطش بي بطش الجبارين.

فقطع عليه عثمان كلامه وصاح به: اخرج عنّا من بلادنا.

فقال أبو ذرّ: أتخرجني من حرم رسول الله ﷺ؟!

- نعم، وأنفك راغم.
- فإلى مكّة؟
- لا!
- فإلى البصرة.
- لا!
- فإلى الكوفة.
- لا! ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت فيها.

وأوعز إلى وزيره مروان بإخراج أبي ذرّ فوراً من المدينة مهان الجانب، محطّم الكيان، وحرّم على المسلمين الخروج لتوديعه، وخالف أمره الأسرة الهاشميّة وعمّار بن ياسر، فقد سحقوا أوامر عثمان، واشتدّ مروان نحو الإمام الحسن عليه السلام فقال له بعنف: إيهاً يا حسن! ألا تعلم أنّ عثمان قد نهى عن كلام هذا الرجل؟

فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك.

وحمل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مروان وضرب بين أُذني دابّته، وصاح به: **تَنَحَّ، نَحَاكَ اللهُ إِلَى النَّارِ**[1].

وولّى مروان إلى سيّده عثمان يخبره بعصيان أمره والاعتداء عليه وعلى دابّته، فتميّز غيظاً وغضباً.

كلمة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام

وقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على صاحب رسول الله وخليله، فجعل يودّعه، وقد غامت عيناه بالدموع، وألقى عليه هذه الكلمات التي حدّدت أبعاد ثورة أبي ذرّ وخوف الأمويّين منه قائلاً:

يا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَىٰ دُنْيَاهُمْ وَخِفْتَهُمْ عَلَىٰ دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُم بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ؛ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَىٰ مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، وَالْأَكْثَرُ حُسَّداً؟!

وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَىٰ عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ اتَّقَى اللهَ لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً. لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٦٩. مروج الذهب: ٣: ٣٤٠ و ٣٤١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨: ٢٥٢ و ٢٥٣.

(٢) نهج البلاغة: ١٨٨، خطبة ١٣٠.

حكت هذه الكلمات ثورة أبي ذر على الحكم الأموي، وأنّها كانت من أجل الحقّ ومن أجل القيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام، وقد خافه الأمويّون على دنياهم ونهبهم لثروات الأُمّة، كما مجّد الإمام عليه السلام الروح الطيّبة والنفس الشريفة التي يحملها أبو ذرّ، وطلب منه أن يهرب بدينه ليكون بمنجاة من شرورهم وآثامهم، فإنّه هو الرابح والسعيد يوم يلقى الله تعالى، وهم الخاسرون.

كلمة الإمام الحسن عليه السلام

وبادر الإمام الزكيّ الحسن عليه السلام فودّع عمّه أبا ذرّ وألقى عليه هذه الكلمات التي تحكي لوعته على فراقه قائلاً:

يا عَمَاهُ، لَوْلَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُوَدَّعِ أَنْ يَسْكُتَ، وَلِلْمُشَيِّعِ أَنْ يَنْصَرِفَ لَقَصَرَ الْكَلَامُ وَإِنْ طالَ الْأَسَفُ، وَقَدْ أَتَى الْقَوْمُ إِلَيْكَ ما تَرىٰ، فَضَعْ عَنْكَ الدُّنْيا بِتَذَكُّرِ فِراقِها، وَشِدَّةِ ما اشْتَدَّ مِنْها بِرَجاءِ ما بَعْدَها، وَاصْبِرْ حَتّىٰ تَلْقَىٰ نَبِيَّكَ صلى الله عليه وآله وَهُوَ عَنْكَ راضٍ[1].

كلمة الإمام الحسين عليه السلام

وودّع الإمام سيّد الشهداء الحسين عليه السلام عمّه وألقى عليه هذه الكلمات:

يا عَمَاهُ، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ قادِرٌ أَنْ يُغَيِّرَ ما قَدْ تَرىٰ، وَاللهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، وَقَدْ مَنَعَكَ الْقَوْمُ دُنْياهُمْ، وَمَنَعْتَهُمْ دِينَكَ، فَما أَغْناكَ عَمّا مَنَعُوكَ، وَأَحْوَجَهُمْ إِلىٰ ما مَنَعْتَهُمْ!

---

(١) بحار الأنوار: ٢٢: ٤١٢. الدرجات الرفيعة: ٢٤٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨: ٢٥٣.

فَاسْأَلِ اللهَ الصَّبْرَ والنَّصْرَ، وَاسْتَعِذْ بِهِ مِنَ الْجَشَعِ وَالْجَزَعِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الدِّينِ وَالْكَرَمِ، وَإِنَّ الْجَشَعَ لَا يُقَدِّمُ رِزْقاً، وَالْجَزَعَ لَا يُؤَخِّرُ أَجَلاً[1].

وسار الإمام العظيم بهذا الخلق الرفيع، فقد اندفع لإعلاء كلمة الحقّ، ومناجزة قوى الباطل، حتّى استشهد سلام الله عليه شهيداً في أندر معركة عرفها التاريخ الإنسان.

كلمة أبي ذرّ رضي الله عنه

وبكى أبو ذر لفراقه أهل البيت عليهم السلام الذين أخلص لهم، وألقى هذه الكلمات التي يلمس فيها ذوب روحه قائلاً: «رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إنّي ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين فأفسد الناس عليهما، فسيّرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله، والله ما أريد إلّا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة»[2].

وتحرّكت راحلة أبي ذر تطوي البيداء حتّى انتهت إلى الربذة ليموت فيها جائعاً غريباً وفي يد عثمان ذهب الأرض ينفقه على بني أُميّة وآل أبي معيط، ويحرمه على صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله شبيه عيسى بن مريم هدياً وسلوكاً.

ولمّا قفل الإمام عليه السلام من توديع أبي ذرّ استقبله جماعة من الناس، فأخبروه بغضب عثمان واستيائه منه، لأنّه خرج لتوديع أبي ذرّ، فقال عليه السلام: **غَضَبُ الخَيلِ**

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨: ٢٥٣ و ٢٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨: ٢٥٤. تاريخ اليعقوبي: ٢: ٦٩. مروج الذهب: ٢: ٣٤١.

عَلَى اللُّجُمِ[١].

وبادر عثمان نحو الإمام عليه السلام وصاح به: مَا حملك على ما صنعت بمروان؟ ولِمَ اجترأت عليّ ورددت رسولي وأمري؟

فأجابه الإمام عليه السلام بهدوء: **أَمَّا مَرْوانُ فَإِنَّهُ اسْتَقْبَلَنِي يَرُدُّنِي فَرَدَدْتُهُ عَنْ رَدِّي، وَأَمَّا أَمْرُكَ فَلَمْ أَرُدَّهُ.**

وراح عثمان قائلاً: أولم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن أبي ذرّ وعن تشييعه؟

فأجابه الإمام عليه السلام: **أَوَ كُلَّما أَمَرْتَنا بِهِ مِنْ شَيْءٍ نَرىٰ طاعَةَ اللهِ وَالْحَقَّ فِي خِلَافِهِ اتَّبَعْنا فِيهِ أَمْرَكَ؟!**

- أقد مروان.

- **وَمِمّا أَقِيدُهُ؟**

- ضربت بين أُذني راحلته وشتمته، فهو شاتمك وضارب بين أذني راحلتك.

- **أَمّا راحِلَتِي فَهِيَ تِلْكَ، فَإِنْ أَرادَ أَنْ يَضْرِبَها كَمَا ضَرَبْتُ راحِلَتَهُ فَلْيَفْعَلْ، وَأَمّا أَنا فَوَاللهِ لَئِنْ شَتَمَنِي لَأَشْتُمَنَّكَ أَنْتَ بِمِثْلِها بِما لَا أَكْذِبُ فِيهِ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقّاً.**

وراح عثمان يقول بغير وعي ورشد: ولِمَ لا يشتمك إذ شتمته؟ فوالله مَا أنت عندي بأفضل منه.

وحكى كلام عثمان عن حقده وعدائه للإمام عليه السلام إذ ساوى بينه -وهو وصيّ

---

(١) يضرب مثلاً لمن يغضب غضباً لا ينتفع به ولا موضع لهُ - مجمع الأمثال ٢: ٥٦، الرقم ٢٦٦٢.

رسول الله ﷺ، وباب مدينة علمه ـ وبين الوزغ ابن الوزغ الذي لعنه النبيّ ﷺ وهو في صلب أبيه.

وثار الإمام عليه السلام فقال لعثمان: **إِلَيَّ تَقُولُ هٰذَا الْقَوْلَ؟ وَبِمَرْوانَ تَعْدِلُنِي؟! فَأَنَا وَاللهِ أَفْضَلُ مِنْكَ، وَأَبِي أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكَ، وَأُمِّي أَفْضَلُ مِنْ أُمِّكَ، وَهٰذِهِ نَبْلِي قَدْ نَثَلْتُها وَهَلُمَّ فانْثُلْ بِنَبْلِكَ.**

وتميّز عثمان غيظاً، ولم يدرِ ما يقول، وانصرف الإمام عليه السلام وهو مثقل بالأسى والحزن من عثمان الذي فقد جميع المقاييس في سبيل أُسرته الذين لا رصيد لهم من الإسلام، فساوى بين وزغهم وما بين الإمام عليه السلام الذي هو نفس النبيّ ﷺ.

كلمة عمار بن ياسر رضي الله عنه

وأقبل عمّار على أخيه في الجهاد وعيناه تفيضان بالدموع، وقال له: «لا آنس اللهُ مَن أَوحَشَك، ولا آمن مَن أخافك، أَما واللهِ لو أردتَ دنياهم لأَمَّنوكَ، ولو رَضِيتَ أَعْمَالَهم لَأَحبُّوك، وما مَنَع الناسَ أن يقولوا بقولك إلّا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم فخسروا الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين»[1].

حكت هذه الكلمات نفسيّة أبي ذر واندفاعه نحو الحقّ، ولو أنّه ساير الأمويّين ورضى بسياستهم لقرّبوه ومنحوه الثراء العريض، ولكنّ أبا ذر سحق جميع المنافع، واتّجه صوب دينه، فعادوه وسخطوا عليه، وصبّوا عليه وابلاً من عذابهم الأليم، وأنّ المجتمع الذي ساير الأمويّين إنّما هو بدافع الطمع، فباعوا على

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨: ٢٥٣ و ٢٥٤.

الأمويّين دينهم.

٣ ـ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

ونكّل عثمان تنكيلاً فظيعاً بالصحابي العظيم عبدالله بن مسعود، فقد أمعن في ظلمه والاعتداء عليه، لأنّه طالب الوليد بما استقرضه من بيت المال، فلم يؤدّه إليه ورفع رسالة إلى عثمان يخبره، فغضب عثمان، فاستقال ابن مسعود من منصبه وقفل راجعاً إلى يثرب.

فلمّا انتهى إليها كان عثمان يخطب، فلمّا رآه قال: ألا إنّه قدمت عليكم دويبة سوء، مَنْ يمشي على طعامه يقيء ويسلح.

فردّ عليه ابن مسعود وقال له: لستُ كذلك، ولكنّي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، ويوم بيعة الرضوان.

ونقم المسلمون على عثمان، وراحت عائشة تعلن سخطها عليه قائلة: أي عثمان، أتقول هذا لصاحب رسول الله ؟!

وأمر عثمان شرطته بإخراج ابن مسعود مهاناً، فقام إليه عبدالله بن زمعة أو يحموم غلام عثمان، فاحتمله ورجلاه تختلفان على عنقه وضرب به الأرض ممّا أوجب كسر ضلعه، وثار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال لعثمان: **يا عُثْمانُ، أَتَفْعَلُ هٰذا بِصاحِبِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِقَوْلِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ؟**

فقال عثمان: ما بقول الوليد فعلت هذا، ولكن وجهت زبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة، فقال له ابن مسعود: إنّ دم عثمان حلال.

ورد عليه الإمام عليه السلام: **أَحَلْتَ مِنْ زُبَيْدٍ عَلىٰ غَيْرِ ثِقَةٍ.**

وحمل ابن مسعود إلى منزله، وقام الإمام عليه السلام برعايته حتّى برئ من مرضه،

فقاطعه عثمان وفرض عليه الإقامة الجبريّة بالمدينة ، وقطع عنه عطاءه.

ومرض ابن مسعود مرضه الذي توفّي فيه ، فعاده عثمان فقال له: ما تشتكي ؟

- ذنوبي !
- فما تشتهي ؟!
- رحمة ربي.
- ألا أدعو لك طبيباً ؟!
- الطبيب أمرضني !
- أفلا آمر لك بعطائك ؟!
- منعتنيه وأنا محتاج إليه ، وتعطينيه وأنا مستغنٍ عنه ؟!
- يكون لولدك.
- رزقهم على الله.
- استغفر لي يا أبا عبدالرحمن.
- أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقّي !!

وانصرف عثمان ، ولم يفز برضاء ابن مسعود ، ولما ثقل حاله أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان ، ويصلّي عليه صاحبه عمّار بن ياسر ، ولمّا توفّي قامت الصفوة من أصحابه بتجهيزه ودفنه ولم يعلموا عثمان بوفاته ودفنه ، فلمّا علم غضب وقال: سبقتموني.

فرد عليه عمار: إنّه أوصى أن لا تصلّي عليه.

وقال الزبير:

لَأَعْرِفَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ تَنْدُبُنِي وَفِي حَياتِيَ مَا زَوَّدْتَنِي زادِي[١]

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الجبهة المعارضة لعثمان لاستبداده بأموال المسلمين وإنفاقها بغير حقّ على بني أُميّة وآل أبي معيط، وقبله قد شذّت سياسة عمر الاقتصاديّة عن منهج الاقتصاد الإسلامي، فلم يساو عمر في العطاء بين المسلمين، فقد ميّز المهاجرين على الأنصار، وميّز البدريّين على غيرهم، كما ميّز نساء النبيّ ﷺ على غيرهنّ، والأُسرة النبويّة على غيرها، وقد خلقت هذه السياسة الطبقيّة والرأسماليّة عند فئة خاصّة، وهذا ما لا يقرّه الإسلام حسبما يقول بعض المحقّقين.

وعلى أي حال، فإنّ سياسة عثمان غير سياسة عمر، فقد ابتعدت ابتعاداً كلّيّاً عمّا قرّره الإسلام في اقتصاده من المساواة في العطاء من دون تمييز، وقد أدّت هذه السياسة إلى تكدّس الثراء عند طبقة خاصّة حتّى حارت في صرف ما عندها من الأموال كما أسلفنا ذلك في البحوث السابقة.

الثورة على عثمان

وكانت الثورة على عثمان إصلاحيّة ومنسجمة مع أحكام الإسلام وتعاليمه، وقد عقد أعلام الصحابة من المهاجرين والأنصار مؤتمراً عرضوا فيه الأحداث الجسام، وخافوا على دينهم من سياسة عثمان وما احتفّ به من الأمويّين الذين لا يرجون لله تعالى وقاراً، فرفعوا رسالة إلى القوّات المسلّحة في مصر وإلى أهل الثغور عرضوا فيها الأخطار المحدقة بالإسلام من حكومة معاوية، واستجابت

---

(١) أنساب الأشراف: ٦: ١٤٦ ـ ١٤٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٤٢. البداية والنهاية: ٧: ١٦٩ و ١٧٠.

الأقطار الإسلاميّة لنداء الصحابة، فأرسلت وفودها إلى المدينة، وقد تشكّلت من المناطق التالية:

١ ـ الوفد المصري

وأرسلت مصر وفداً كان عدده أربعمائة شخص ـ وقيل: أكثر من ذلك ـ بقيادة عبدالرحمن بن عديس البلوي، وأبي عمرو عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

٢ ـ الوفد الكوفي

وأرسلت الكوفة وفدها بقيادة الزعيم مالك الأشتر النخعي، وزيد بن صوحان العبدي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبدالله بن الأصم العامري، ويرأس الجميع عمرو بن الأصمّ.

٣ ـ الوفد البصري

وأوفدت البصرة مائة رجل بقيادة حكيم بن جبلة العبدي، ثم أوفدت خمسين رجلاً، وفيهم الوجوه والأعيان.

واستقبلت الصحابة الوفود بمزيد من التكريم والاحتفاء، وعرضت عليها أحداث عثمان وطلبت منها إقصاءه من الحكم، وأحاطت الوفود بعثمان، فاضطرب وأوفد إليهم عمرو بن العاص، فلم يستجيبوا له، وانبرى المغيرة بن شعبة لمقابلتهم فطردوه، واضطرّ عثمان إلى الالتجاء لأمير المؤمنين عليه السلام، فاستغاث به أن يكلّم القوم ويضمن لهم تنفيذ مطالبهم، فاستجاب له، ومضى إلى الثوّار وطلب منهم الكفّ عن عثمان، فأجابوه إلى ذلك.

وأقبل وجوه الوفود مع الإمام عليه السلام فدخلوا على عثمان ولاموه على ما فرّط

في أُمور المسلمين ، وطلبوا منه تغيير سياسته ، والحكم بالحقّ والعدل ، فأجابهم إلى ذلك ، وكتب لهم وثيقة ضمن فيها تنفيذ مطالبهم ، ووقّع عليها جماعة من الصحابة ، فأخذها القوم وانصرفوا عنه.

ولكن سرعان ما نقض عثمان ما قطعه على نفسه ، ولم يفِ لهم بما عاهدهم عليه ، وكان ذلك بضغط من وزيره مروان.

واستجار عثمان بمعاوية ، إلّا أنّه لم يقم بإنقاذه ، وكان باستطاعته إنقاذه ، وكان يترقّب مصرعه ليتّخذ دمه وسيلة للظفر بالملك والسلطان.

وعلى أي حال ، فقد أحاط الثوّار بعثمان ، فلم يجدوا وسيلة لإصلاحه ، فصمّموا على قتله ، وانبرى إليه خيار المسلمين كان في طليعتهم محمّد بن أبي بكر فقبض على لحيته وقال له: قد أخزاك الله يا نعثل.

فردّ عليه عثمان: لست بنعثل ، ولكن أمير المؤمنين.

فأجابه محمّد: ما أغنى عنك معاوية ، فأجهز عليه مع جماعة من خيار المسلمين وسحبوا جثّته إلى المزبلة فألقوها فيها.

وبقي ثلاثة أيّام لم يدفن[1] وقد امتنع الثوّار من مواراته ، فتكلّم الإمام عليه السلام معهم فأجابوه ، ودفن بحش كوكب مقبرة اليهود ، وبذلك فقد انتهت حكومة عثمان ، وانطوت سياسته القائمة على الظلم والنهب ، وقد عانى المسلمون من حكومته وقتله أعنف المشاكل وأكثرها محنة وأعمّها بلاءً ، فقد اتّخذ الأمويّون ـ الذين لم يقفوا معه وهربوا عنه وخذلوه ـ قتله ورقة رابحة للمطالبة بدمه ، وقد أشاعوا القتل والدمار والفتنة بين المسلمين.

---

(١) تمام المتون: ٧٩.

الدولة الأمويّة

معاوية بن أبي سفيان

معاوية بن أبي سفيان وجه من وجه السياسة الظالمة، وتجسيد لجميع صورها، وقد امتحن المسلمون في عهده أشدّ ما يكون الامتحان وأقساه، فقد ساسهم سياسة لم يألفوها، فقد كانت سياسته سياسة الجور والحرمان، وأخلد لهم الفتن والمصاعب، وهذه بعض الصور السوداء من سياسته القائمة على الكذب والمكر والخداع:

التمرّد على حكومة الإمام عليه السلام

بويع الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام بيعة عامّة من قِبل عموم الصحابة وسائر الأقطار الإسلاميّة سوى معاوية، وقد أعلن الإمام عليه السلام عزل معاوية عن ولايته، لأنّه من عناصر الشرّ والفساد، لا يحلّ له أن يبقيه لحظة في الحكم لأنّ في ذلك إقراراً للظلم والجور، وخيانة للقيم الإسلاميّة التي تناهض الجور والفساد.

وقد تذرّع معاوية لتمرّده على حكم الإمام عليه السلام بأنّه آوى قتلة عثمان، وقد اتّخذ دمه ورقة رابحة لإغراء السذّج والبسطاء الذين تلوّنهم الدعاية حيثما شاءت.

وفعلاً فقد جهّز جيشاً للإطاحة بحكومة الإمام عليه السلام، وتوجّه الإمام عليه السلام بجيشه للقضاء عليه، وبعد سنتين من الحرب المنقطّعة التحم الجيشان التحاماً رهيباً، وبان الانكسار في جيش معاوية، ولم يبق إلّا مقدار حلبة شاة فينتصر جيش

الإمام عليه السلام عليه ، إلّا أنّ مكيدة ابن العاص وابن الأشعث وزمرة من قادة جيش الإمام أعلنوا رفع المصاحف ممّا أدّى إلى انقلاب مدمّر في معسكر الإمام عليه السلام .

ومنذ ذلك الوقت انطوت حكومة الإمام عليه السلام واستشهد عليه السلام على يد عبدالرحمان بن ملجم المجرم العميل لمعاوية وابن العاص.

وتسلّم الإمام الحسن عليه السلام قيادة الأُمّة ، ولكنّه مني بجيش أفسده معاوية ، فقد كتب إليه قادة الفرق بتسليم الإمام عليه السلام أسيراً أو اغتياله ، فكان المتعيّن على الإمام عليه السلام في عرف السياسة الصلح ، فصالح مضطرّاً لذلك ، وقد ذكرنا الأحداث المروعة التي مني بها الإمام السبط عليه السلام في كتابنا (حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام).

حكومة معاوية

وحينما تسلّم معاوية قيادة الحكم بعد الصلح ساس الأُمّة بسياسة بطش ودمار ، وكان من مظاهر سياسته:

سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وفور تسلّم الطاغية للحكم أعلن رسمياً سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واتّخذه جزءاً من الحياة العقائديّة ، وفرض سبّه على المنابر في خطب الجمعة والأعياد ومراكز التعليم ، وغير ذلك من مظاهر الحياة ، معتقداً أنّه سيمحو ذكره ، ويأفل نجمه ، وقد باء بالفشل والخسران ، فها هو عليّ عليه السلام ملء فم الدنيا في مواهبه وعبقريّاته وعدله ونصرته للإسلام ، وعاد هو من الخونة واللصوص الذين خانوا الله ورسوله والمؤمنين.

إعدام وجوه الشيعة

وأعدم الطاغية كوكبة من وجوه الشيعة وأعلامهم، أمثال الصحابي العظيم حجر بن عدي وجماعته، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وصيفي بن فسيل، ونظرائهم من أعلام الإسلام.

قطع الأيدي والأرجل

من الإجراءات التي اتّخذها اللقيط زياد بن أبيه واليه على الكوفة ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام أنّه سمل عيونهم، وقطع أيديهم وأرجلهم، وكان ذلك بايعاز من أخيه اللاشرعي معاوية.

هدم دور الشيعة

وأوعز الطاغية بهدم دور الشيعة، فهدّمت دورهم استهانة بهم.

منع عطيّاتهم

وأمر الطاغية بمنع عطاء الشيعة لإشاعة الفقر والحرمان في بيوتهم.

عدم قبول شهادتهم

وأوعز معاوية إلى دور القضاء عدم قبول شهادة الشيعة تجريحاً لهم.

إلى غير ذلك من الإجراءات الجهنّميّة التي اتّخذها الطاغية ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام.

وضع الأحاديث

من أخطر ما قام به ابن هند أنّه شكّل لجنة لوضع الأحاديث في فضل الصحابة، وجعلهم قبال أهل البيت عليهم السلام في سموّ مكانتهم الاجتماعيّة، كما افتعلت الأحاديث في فضل معاوية وبني أُميّة وذمّ أهل البيت عليهم السلام، ومن المؤسف أنّها دوّنت في الصحاح والسنن، واعتقد بها شريحة من المسلمين.

هذه بعض مظاهر سياسة معاوية القائمة على الظلم والطغيان، وقد ألّفنا كتاباً عن جرائمه وموبقاته وسوء سياسته، وقد طبع الكتاب.

يزيد بن معاوية

ومن جرائم معاوية وموبقاته أنّه أقام ولده يزيد الفاجر الفاسق والياً وحاكماً على المسلمين، وهو أخطر عدوّ للإسلام، وقد أعلن الكفر والإلحاد علناً فيما نظمه من الشعر، وكان من أخطر جرائمه وأعظم موبقاته ما يلي:

إبادة العترة الطاهرة

وفور تسلّم يزيد للحكم أوعز إلى الوليد عامله على المدينة بأخذ البيعة من أهل المدينة عامّة، ومن الإمام الحسين عليه السلام خاصّة، وإن أبى ضرب عنقه وبعث إليه برأسه، فاستدعى الوليد الإمام الحسين عليه السلام وعرّفه بأمر يزيد له.

فأعلن الإمام في بهو السلطة رفضه الكامل لبيعة يزيد وأنّ مثله لا يبايع هذا المجرم الفاسق.

ثمّ سافر الإمام عليه السلام إلى مكّة وأخذ يدعو الحجّاج إلى رفض بيعة يزيد، وأنّه يشكل خطراً على الإسلام، ثمّ غادر الإمام عليه السلام مكّة متّجهاً صوب الكوفة التي رفضت بيعة الطاغية وأعلنت ولاءها وبيعتها للإمام الحسين عليه السلام على يد سفيره مسلم بن عقيل.

ولم علم الفاجر يزيد بتوجّه الحسين عليه السلام إلى الكوفة ورفض أهلها بيعته عزل والي الكوفة النعمان بن بشير لضعفه وعيّن أخطر ارهابي مجرم وهو عبيدالله بن زياد، فعهد إليه بولاية الكوفة وأمره باتّخاذ أشدّ الإجراءات ضدّ الإمام الحسين عليه السلام.

وقام ابن زياد بإعدام مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وإلقاء عيون الشيعة في سجونه، وسرّح فرقة من الجيش لإلقاء القبض على الإمام الحسين عليه السلام بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحي، فالتقى به في الطريق، وأراد إجباره على التوجه إلى الكوفة ليكون بقبضة ابن زياد، فأبى الإمام الحسين عليه السلام واتّفقا على أن يسير إلى جهة غير الكوفة، فسار معه حتّى انتهى إلى كربلاء، فأقام بها.

ووجّه الطاغية الجيوش إلى كربلاء فأحاطت بالإمام عليه السلام، ومنعته مع أهل بيته من الارتواء من الماء، وفي اليوم العاشر من المحرّم الخالد في دنيا الأحزان حملت جيوش الكفر على الإمام عليه السلام وأصحابه وأهل بيته في أعظم ملحمة في تاريخ الإنسانيّة، فاستشهدت الكوكبة الصالحة من أنصار الإمام وأهل بيته، ثمّ أحاطت بالإمام عليه السلام فاستشهد وهو أعظم شهيد في الدنيا، فقد ملك القلوب والعواطف، وأضحى مرقده الشريف محجّاً للناس على اختلاف لغاتهم وقوميّاتهم.

وحملت عقائل الوحي ومخدّرات النبوّة سبايا يطاف بهنّ في الأقطار والأمصار ومعهنّ رؤوس أبناء النبيّ صلى الله عليه وآله على الرماح، فكان هذا هو جزاؤه من الخطّ الأموي.

ومن المؤكّد أنّ ما لحق بالعترة الطاهرة من الخطوب والتنكيل كان من نتائج مؤتمر السقيفة والشورى، فقد عمد أعضاؤهما على إبعاد أهل البيت عليهم السلام ومعاملتهم بقسوة وعنف.

واقعة الحرّة

وأعظم فاجعة نكب بها المسلمون بعد كارثة كربلاء هي واقعة الحرّة التي

انتهكت فيها حرمة النبيّ ﷺ في عاصمته، فقد أعلن أحرار المدينة وعيونهم رفضهم الكامل لبيعة يزيد، فسرّح لهم الطاغية الفاجر ارهابيّاً مجرماً تجرّد من كلّ نزعة شريفة، وهو مسلم بن عقبة الذي سمّاه المسلمون بالمسرف، فقد احتلّ المدينة وأباحها لجنده ثلاثة أيّام، ففسقوا ونهبوا وقتلوا الشيوخ والأطفال، وفجروا بالنساء، وأرغموا المسلمين على أنّهم عبيد ليزيد يبيعهم إذا شاء في الأسواق، وانتهت الواقعة وقد خيّم على المدينة الذلّ والهوان لعظم ما اقترفه هذا المجرم من الآثام والموبقات.

حصار الكعبة

وتوجّه الجيش الأموي إلى احتلال مكّة، والقضاء على ابن الزبير الذي كان متحصّناً بالبيت الحرام، وعمد الغزاة إلى رمي البيت الحرام بالمنجنيق حتّى هوى البيت إلى الأرض، ولم يرع حرمة البيت العظيم الذي فرض الله تعالى الحجّ إليه، وجعله قبلة للمسلمين، فقد اقترفوا أعظم الجرائم وأخطر الموبقات.

هلاك الطاغية

انتقم الله تعالى من المجرم يزيد بن معاوية، وقصم ظهره وألحقه بأبيه معاوية وجدّه أبي سفيان يتقلّب معهم في نار جهنّم، فأهون به هالكاً ومفقوداً، فقد أغرق العالم الإسلامي بالمحن والخطوب في سياسته السوداء التي لا ظلّ فيها إلّا للظلم والجور.

نهاية حكم آل أبي سفيان

تنازل معاوية بن يزيد رسميّاً عن الحكم، فارّاً بدينه عن سلطة ورثها عن أبيه

بغير حقّ، وقد فضح أباه وجدّه بخطابه الذي أعلن فيه استقالته عن الحكم، وكان من بنوده:

أنّ جدّي معاوية نازع الأمر مَن كان أوْلى به لقرابته من رسول الله ﷺ وقديمه وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً، وأوّلهم إيماناً، ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته جعله لها بعلاً باختياره لها، فهما بقيّة رسول الله ﷺ خاتم النبيّين، فركب جدّي منه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون».

حتّى أتته منيّته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه، وأسيراً بجرمه، ثمّ قلّد أبي يزيداً الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه، وأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل.

ثمّ بكى وقال: إنّ من أعظم الأُمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبؤس منقبله، وقد قتل عترة رسول الله ﷺ، وأباح الحرم، وخرّب الكعبة[1].

وانهدم ملك آل أبي سفيان على يد معاوية بن يزيد الذي هو أنبل أموي عرفه التاريخ.

وروى المؤرّخون أنّه تبرّأ من أبيه وقال في ذلك شعراً:

يا لَيتَ لي بِيَزيدٍ حينَ أَنتَسِبُ ... أَباً سِواهُ وَإِنْ أَزْرىٰ بِيَ النَّسَبُ

بَرِئْتُ مِنْ فِعلِهِ وَاللهُ يَشْهَدُ لي ... أَنّي بَرِئْتُ وَذا في اللهِ قَدْ يَجِبُ[2]

---

(١) النجوم الزاهرة: ١: ١٦٤. جواهر المطالب: ١٣٣.

(٢) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام): ١٨: ١٧.

مروان بن الحكم

ولم يكن في مروان أيّة صفة كريمة يتمتّع بها، فقد كان مجموعة من الرذائل والموبقات، وهو يعلم بنفسه أنّه غير أهل للخلافة، وأراد أن يبايع ابن الزبير ولكنّ عبيدالله بن زياد الخبيث هو الذي حبّب إليه الخلافة فتقلّدها، ولم تطل مدّة حكمه إلّا أشهراً، وقد أخبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن قصر مدّة حكمه أنّها ـ أي خلافته ـ كلعقة الكلب أنفه[1].

وقد انطوت بهلاكه صفحة من صفحات العار والخزي.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢: ٥٣.

عبدالملك بن مروان

وهو من رموز السياسة الظالمة، ووصفه المنصور الدوانيقي بأنّه جبّار لا يبالي ما صنع[1].

وقال في خطابه بعد قتله لابن الزبير: «لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربت عنقه»[2].

وقد بالغ في إراقة الدماء وسفكها بغير حقّ، فقد قالت له أُمّ الدرداء: بلغني أنّك شربت الطلى ـ يعني الخمر ـ بعد العبادة والنسك.

فقال لها غير متأثّم: «إي والله، والدماء شربتها»[3].

وعبّر عن سياسته بقوله: «إنّي لا أُداوي هذه الأُمّة إلّا بالسيف حتّى تستقيم لي قناتكم»[4].

وما كان مثل هذا الضمير المتحجّر الذي ران عليه الإثم والباطل أن يداوي الأُمّة بالرأفة والرحمة، ويوفّر لها الأمن والرخاء، إنّه لا يداويها إلّا بالنطع والسيف.

تنصيبه للحجّاج

وأخطر إثم قام به هذا الطاغية توليته للحجّاج بن يوسف الثقفي الذي هو أندر

---

(١) النزاع والتخاصم: ٨.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢١٩.

(٣) البداية والنهاية: ٩: ٨٠.

(٤) الذهب المسبوك: ٢٩.

ارهابي مجرم لتعطّشه لسفك الدماء بغير حقّ، وقد منحه عبدالملك جميع الصلاحيّات، فجعل يتصرّف في أمور الدولة والمواطنين حسب رغباته، لم يحاسبه ولم يعاتبه على جرائمه وموبقاته التي لا عهد للناس بمثلها.

وقال عاصم: «ما بقيت لله عزّ وجلّ حرمة إلّا انتهكها»[١].

وقال القاسم بن مخيمرة: «كان الحجّاج ينقض عرى الإسلام عروة عروة»[٢].

وهذا عرض موجز لبعض جرائمه:

محنة العراق بحكمه

وامتحن العراق أشدّ ما يكون الامتحان قسوة وبلاءً في أيّام هذا المجرم، فكان يأخذ البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر، وكان من جرائمه أنّه خطب في الكوفة فلم يحمد الله تعالى ولم يثن عليه، ولم يصلِّ على النبيّ ﷺ وقال: «يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق والمراق، ومساوئ الأخلاق، إنّ أمير المؤمنين -يعني عبدالملك- فتل كنانته فعجمها عوداً عوداً، فوجدني من أمرّها عوداً، وأصعبها كسراً، فرماكم بي، وإنّه قلّدني عليكم سوطاً وسيفاً، فسقط السوط وبقي السيف»[٣].

ثمّ قال: «إنّي والله لأرى أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاولة، ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإنّي أنا صاحبها، كأنّي أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى»[٤]، ثمّ أنشد:

---

(١) البداية والنهاية: ٩: ١٣٢.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢: ٣١١.

(٣) و (٤) تاريخ اليعقوبي: ٣: ٦٨.

أَنـا ابْـنُ جَـلَا وَطَـلَّاعُ الثَّـنايا مَتىٰ أَضَعُ العِمامَةَ تَعْرِفُوني[١]

ومضى الجلّاد فشهر السيف وأطاح بالرؤوس، ونشر من الخوف والرعب ما لا يوصف حتّى قال له ابن وائل الأسدي: «وأيم الله، ما أعلم أنّ الناس هابوا أميراً قطّ هيبتهم إيّاك»[٢].

وبلغ من عظيم خوف الناس ومحنتهم أنّه لم يبق أحد في مجلسه إلّا أهمّته نفسه، وارتعدت فرائصه[٣].

لقد امتحن العراقيّون في عهد هذا الطاغية امتحاناً عسيراً، فقد صبّ عليهم وابلاً من العذاب الأليم.

محنة الشيعة

وكان من أعظم العراقيّين محنة وأشدّهم بلاء الشيعة، فقد انطلقت يداه في الفتك بهم، وسفك دمائهم، حتّى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال له من شيعة عليّ[٤].

وكان خير وسيلة للاتّصال به والتقرّب إليه انتقاص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أقبل إليه بعض المرتزقة رافعاً عقيرته قائلاً: أيّها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإنّي فقير بائس، وأنا محتاج إلى صلة الأمير.

فسرّ الحجّاج وراح يقول: للطف ما توسّلت به، فقد ولّيتك موضع كذا»[٥].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٨٩.

(٢) و (٣) الطبقات الكبرى: ٦: ٦٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١: ٤٤.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤: ٥٨.

وعلى أي حال، فقد ذهبت الشيعة في عهد هذا الطاغية طعمة للسيوف والسجون، وأثار في صفوفهم جوّاً من الارهاب لم يشهدوا له مثيلاً حتّى في أيّام الطاغية وابنه الفاجر عبيدالله.

عدد مَن قتلهم

كان عدد مَن قتلهم الحجّاج صبراً مائة وعشرين ألفاً[١].

وقيل: مائة وثلاثون ألفاً[٢] سوى مَن قتل في ساحة الحرب، وقد اعترف بسفكه للدماء تشهّياً بقوله: «والله ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دم منّي»[٣].

وقد وضع سيفه في رقاب القرّاء والعبّاد لأنّهم أيّدوا ثورة ابن الأشعث، ومن الأعلام الذين قتلهم سعيد بن جبير، وهو من كبار علماء الكوفة وزهّادها.

ولمّا بلغ الحسن البصري شهادته قال في تأبينه: «والله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لعلمه»[٤].

سجونه

اتّخذ الطاغية سجوناً لا تقي من حرّ ولا من برد، وكان يعذّب المساجين بأقسى ألوان العذاب، ومن صوره أنّه كان يشدّ على يدي السجين القصب الفارسي بعد شقّه، ويجعله عليه ويجرّه حتّى يسيل دمه.

---

(١) تهذيب التهذيب: ٢: ٢١١. تيسير الوصول: ٤: ٣١.

(٢) حياة الحيوان: ١: ١٧٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ٦: ٦٦.

(٤) حياة الحيوان: ١: ١٧١.

ويقول المؤرّخون أنّه مات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، منهنّ ستّة عشر ألف امرأة عاريات، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد[١].

وأُحصي في حبسه ثلاث وثلاثون ألف سجين، لم يحبسوا في دين ولا تبعة[٢].

وكان يقول للمسجونين: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٣] شبّههم بأهل النار، وشبّه نفسه بالخالق العظيم عتوّاً وتكبّراً.

ومن طريف ما ينقل عن استهتاره أنّه قرأ في سورة هود: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[٤]، فلم يدر في «عمل» هل هو فعل أو اسم، فقال لجلاوزته: ائتوني بقارئ، فأتوا به فعرفه، ولمّا قام من مجلسه ألقي عليه القبض وأُودع في السجن، ونسي الحجّاج قصّته، وعرض عليه بعد ستّة أشهر فقال له: فيم حبست؟

قال: في ابن نوح، أصلح الله الأمير.

فضحك الحجّاج وأطلق سراحه[٥].

استهانته بالنبيّ صلى الله عليه وآله

استهان الطاغية بالنبيّ صلى الله عليه وآله ففضّل عبدالملك بن مروان عليه، وقد خاطب الله أمام الناس قائلاً: «أرسولك ـ النبيّ صلى الله عليه وآله ـ أفضل أم خليفتك ـ يعني عبدالملك ـ»[٦].

---

(١) حياة الحيوان: ١: ١٧٠.

(٢) معجم البلدان: ٥: ٣٤٩.

(٣) المؤمنون ٢٣: ١٠٨. تهذيب التهذيب: ٢: ٢١٢.

(٤) هود ١١: ٤٦.

(٥) العقد الفريد: ٢: ٢١٣.

(٦) النزاع والتخاصم: ٢٧. رسائل الجاحظ: ٢٩٧.

وكان يسخر من الذين يزورون قبر النبيّ ﷺ ويقول: «تباً لهم إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك، ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله»[١].

وعلّق الدينوري على كلامه هذا بقوله: «إنّما كفروه ـ يعني الحجّاج ـ بهذا لأنّ في هذا الكلام تكذيباً لرسول الله ﷺ، فإنّه صحّ عنه أنّ الله عزّ وجلّ حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[٢].

وقد أخذ منه التكفيريّون في هذا العصر حرمة زيارة قبر النبيّ ﷺ، وافتخر بعض أعلامهم أنّه يقطن في المدينة وله خمس وعشرون سنة ما زار قبر النبيّ ﷺ.

لقد تمادى الحجّاج بالكفر والزندقة، وأشاع في المسلمين الحزن والحداد بكثرة مَن قتل منهم.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن سياسة هذا الارهابي المجرم الذي أشاع الخوف والارهاب بين المسلمين، وهو سيّئة من سيّئات أميره عبدالملك بن مروان[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥: ٢٤٢.

(٢) حياة الحيوان: ١: ١٧٠.

(٣) هلك هذا المجرم الخبيث الذي أغرق البلاد بالمحن والخطوب في شهر رمضان، ـ وقيل: في شوّال ـ سنة ٩٥ هجريّة، وكان عمره ثلاثاً أو أربعاً وخمسين سنة. وفيّات الأعيان: ٢: ٢١٣.

وكان موته بالآكلة في بطنه، وسلّط الله تعالى عليه الزمهرير، فكانت الكوانين مملوءة ناراً وتدنى منه وهو لا يحسّ بها، وقد أخذت الآلام منه مأخذا عظيماً، فشكا ما هو فيه إلى الحسن البصري ـ وكان عائداً له ـ فقال له: قد نهيتك أن تتعرّض للصالحين فلججت.

فقال له: يا حسن، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرّج عنّي، ولكن أسألك أن تسأله

هلاك عبدالملك

مرض عبدالملك مرضه الذي هلك فيه وكان غير آمن ولا مطمئنّ من عذاب الله تعالى، فقد أخذت تراوده أعماله المنكرة وما اقترفه من الظلم والجور وسفك الدماء في سبيل الملك والسلطان، وجعل يضرب بيده على رأسه ويقول: «وددت أنّي اكتسبت قوتي يوماً بيوم، واشتغلت بعبادة ربّي عزّ وجلّ وطاعته»[1].

وعهد بالخلافة إلى ولده الوليد، وأوصاه بالحجّاج خيراً وقال له: «وانظر الحجّاج فأكرمه، فإنّه هو الذي وطّأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد، ويدك على من ناواك، فلا تسمعنّ فيه قول أحد وأنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناس

« أن يعجّل قبض روحي ولا يطيل عذابي. وفيات الأعيان: ٦: ٣٢٧.

وظلّ الخبيث الدنس يعاني آلام الموت وشدّته حتّى هلك ومضت روحه الخبيثة إلى جهنّم مقرونة بالأصفاد مع أعداء الله، وقد انكسر بموته باب الجور، وانحسرت روح الظلم، فأهون به مفقوداً.

ولمّا بلغ هلاكه الحسن البصري قال: اللّهمّ أنت أمتّه فأمت سنّته، أتانا اخيفش اعيمش قصير البنان، والله ما عرق له عذار في سبيل الله تعالى قطّ، فمن كفره أنّه قال: بايعوني وإلّا ضربت أعناقكم. تهذيب التهذيب: ٢: ٢١٣.

وكان عمر بن عبدالعزيز من الساخطين عليه، وقال فيه: «لو جاءت كلّ أمّة بخبيثها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم». نهاية الإرب: ٢١: ٣٣٢.

وقال: «كان الحجّاج مفلساً من دينه». تهذيب التهذيب: ٢: ٣١١.

وقال طاووس: «عجبت لمَن يسمّي الحجّاج مؤمناً». تهذيب التهذيب: ٢: ٣١١.

ومن الغريب التعصّب الأعمى عند بعض المؤلّفين كتب رسالة في حقّ هذا المجرم الخبيث نزّهه ومجّده فيها.

(١) البداية والنهاية: ٩: ٦٨.

إذا متُّ إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا، فقل بسيفك هكذا»[١].

وحكت هذه الوصيّة مدى اندفاعه نحو الباطل وهو في الساعات الأخيرة من عمره، فقد أوصى بالحجّاج خيراً وهو الذي سفك دماء المسلمين بغير حقّ، ولم يردعه عن ذلك، كما أوصاه بإعدام كلّ مَن تحدّثه نفسه بعدم الرضا بحكمه، ولم يبق بعد هذه الوصيّة إلّا لحظات حتّى هلك، وكانت وفاته في يوم الأربعاء في النصف من شوّال سنة ٨٦هـ[٢].

وقد سئل عنه الحسن البصري فقال: «ما أقول في رجل كان الحجّاج سيّئة من سيّئاته»[٣].

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن رموز السياسة الظالمة في العهد الأموي، التي أغرقت العالم الإسلامي بالمحن والخطوب، والمسؤول عمّا مني به المسلمون من المآسي هو الذي أعلن بعد وفاة النبيّ ﷺ: أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد، وتمّ ما أرادته قريش فأقصت العترة الطاهرة عن مسرح الحكم، وقفز إليه الأمويّون فعاثوا في الأرض فساداً.

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٢٠.

(٢) البداية والنهاية: ٩: ٦٨.

(٣) مروج الذهب: ٣: ٩٦.

الدولة العبّاسيّة

الحكّام العبّاسيّون من رموز الظلم والطغيان، فقد اقترفوا من الظلم والجور أكثر ممّا اقترفه الأمويّون، فقد عهد إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخراساني أن يقتل بخراسان كلّ مَن يتكلّم بالعربيّة، فأخذ أبو مسلم بوصيّته، فأسرف في إراقة الدماء، وانتهاك الحرمات، فقد قتل -فيما يقول المؤرّخون- ستّمائة ألف عربي بالسيف صبراً عدا مَن قتله في الحرب، وأشاع الحزن والحداد في بلاد المسلمين.

ومن المؤكّد أنّه لا يقدم على ذلك مَن كانت له أيّة نزعة دينيّة أو إنسانيّة.

السفّاح

واستقبل المسلمون بيعة أبي العبّاس السفّاح بكثير من القلق والوجوم والاضطراب، لأنّ العبّاسيّين لم يكن لهم أي دور يذكر في ميدان الاصلاح الاجتماعي، فلم تصدر منهم أيّة حركة ضدّ الأمويّين، وإنّما كانوا يتلقّون الأموال والهبات منهم، وكانت الدعوة والشعار الذي رفعه الثوّار «الرضا من آل محمّد ﷺ».

وعلى أيّ حال، فقد سرق العبّاسيّون الحكم من العلويّين، وبنوا سياستهم على الجور وسفك الدماء، ولقد لقّب أبو العبّاس بالسفّاح لكثرة ما سفك من دماء المسلمين.

وقد تتبّع الأمويّين تحت كلّ حجر ومدر، فأشاع فيهم القتل ولم يستثن حتّى الشيخ والطفل، الأمر الذي أزعج الإمام الصادق عليه السلام ورفع له رسالة يستنكر فيها

ذلك، فتعجّب السفّاح وقال: أيقتلون آباءهم ويسبون نساءهم ويتشفّع فيهم، ولم يعلم أنّه من بيت النبوّة الذين لا يعرفون التشفّي والانتقام من الظالمين والمعتدين عليهم.

وقد كشف أبو مسلم الخراساني في رسالته إلى المنصور الدوانيقي ما عهد إليه أخوه السفّاح من الظلم وإزهاق الأنفس، فقد جاء فيها: «وأمرني ـ أي السفّاح ـ أن أجرّد السيف، وأرفع الرحمة، ولا أقبل المعذرة، ففعلت توطيداً لسلطانكم»[١].

لقد ندم أبو مسلم أشدّ ما يكون الندم على ما اقترفه من الظلم، وما أنزله بالمسلمين من النكبات، فقد بلغ وخز الضمير أنّه كان يدعو بعرفات ويقول: اللّهمّ إنّي تائب إليك ممّا لا أظنّك أن تغفر لي.

فقيل له: أيعظم على الله غفران ذنبك؟

فقال: إنّي نسجت ثوب ظلم ما دامت الدولة لبني العبّاس، فكم من صارخة تلقني عند تفاقم الظلم، فكيف يغفر لمن هذا الخلق خصماؤه[٢].

لقد أفسد أبو مسلم آخرته، وباع دينه على بني العبّاس، وقد ندم حيث لا يجديه الندم، فما كان الله تعالى ليغفر لمن أراق أنهاراً من دماء الأبرياء بغير حقّ.

هلاك السفّاح

مرض السفّاح مرضه الذي هلك فيه وأخذ يعاني الآلام بشدّة، ولمّا ثقل حاله أرسل إلى ابن أخيه عيسى بن موسى ـ وقيل: إلى عمّه عيسى ـ فناوله كتاباً مغلقاً

---

(١) البداية والنهاية: ١٠: ٦٤.

(٢) ربيع الأبرار: ١: ٢٧٣.

وأوصاه بكتمان وفاته حتّى يقرأ الكتاب على الناس، ولم يدرِ أحد ما فيه، ولمَن أوصى بالخلافة من بعده[١].

وفي ليلة الأحد الموافق ١٢ ذي الحجّة سنة ١٣٦هـ هلك السفّاح[٢]، فسجّاه عيسى بن عليّ بثوبه، وكتم أمره على الناس، وفي الصبح جمع العبّاسيّين وكبار رجال الدولة فنعى لهم السفّاح، وأخرج لهم الكتاب، ففضّه وإذا به أنّه أوصى بالخلافة من بعده إلى أخيه الدوانيقي وبولاية العهد إلى ابن أخيه عيسى بن موسى، وأخذ عيسى البيعة من الحاضرين لأبي جعفر المنصور، ثمّ قام بمواراة السفّاح فدفنه في قصره حسب وصيّته[٣].

وانطوت حياة السفّاح الحافلة بسفك الدماء وهتك الحرمات، فقد فوّض أُمور المسلمين إلى أشرّ خلق الله وأكثرهم لؤماً وبخلاً وانحرافاً عن الحقّ والعدل.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣: ٣٤٨.

(٢) مروج الذهب: ٣: ١٨١.

(٣) الكامل في التاريخ: ٤: ٣٤٧.

المنصور الدوانيقي

تسلّم المنصور الدوانيقي قيادة الدولة بعد هلاك أخيه، ولم يكن ـ فيما أجمع عليه الرواة ـ يتمتّع بأيّ نزعة إنسانيّة أو صفة شريفة تؤهّله للقيام بأُمور المسلمين، فقد تسربل باللؤم والبخل وخسّة الطبع ودناءة النفس، وغير ذلك من الصفات الشريرة.

وقد ساس المسلمين سياسة مَن لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فأشاع فيهم الخوف والارهاب والجوع والفقر، وقد تمنّى المسلمون رجوع الحكم الأموي على ما فيه من قسوة وعنف واستبداد.

يقول الشاعر:

يا لَيْتَ جَوْرَ بَني مَروانَ دامَ لَنا وَلَيتَ عَدْلَ بَني العبّاسِ في النّارِ

وقال الشهيد العظيم محمّد ذو النفس الزكيّة عن جور المنصور وبني العبّاس: «لقد كنّا نقمنا على بني أُميّة ما نقمنا، فما بنو العبّاس إلّا أقلّ خوفاً لله منهم، وإنّ الحجّة على بني العبّاس لأوجب منها عليهم، ولقد كانت للقوم مكارم وفواضل ليس لأبي جعفر منها»[1].

ووصفه السيّد مير علي الهندي بقوله: «كان المنصور خدّاعاً لا يتردّد البتّة في سفك الدماء، وتعزى قسوته إلى حقده البالغ حدّ الإفراط، في حين كان خلفه لا يفتك إلّا بعد كثير من التروّي والإمعان، وعلى الجملة كان أبو جعفر سادراً

(١) الأغاني: ١٠: ١٠٦.

في بطشه، مستهتراً في فتكه»[١].

وكان من أقسى ما صدر منه من الجور والظلم معاملته للسادة العلويّين، فقد صبّ عليهم جامّ غضبه، ونكّل بهم أفظع وأقسى ما يكون التنكيل، ولم يرع فيهم قربهم من النبيّ ﷺ، وأواصر الرحم بينهم وبينه، وهو أوّل مَن أحدث ثغرة الخلاف بين العبّاسيّين والعلويّين، كما يقول السيوطي[٢].

وهذا عرض موجز لبعض خصاله وصفاته الشريرة وسياسته الظالمة:

البخل

من أبرز صفات المنصور الشحّ والبخل، وكان مضرب المثل بذلك، وقد تعرّضت الدولة الإسلاميّة للمجاعة والبؤس لأنّه صادر أموال الشعب.

قال ابن الأثير: «إنّما سُمّي المنصور بالدوانيقي لبخله، وذلك لمّا حفر الخندق بالكوفة قسّط على كلّ منهم دانقاً، وصرفه على الحفر، والدانق سدس الدرهم».

وأضاف قائلاً: «وفي سنة ١٥٥هـ عمل المنصور للكوفة والبصرة سوراً وخندقاً، وأمر لمن عمل بالسور والخندق لكلّ واحد خمسة دراهم، فلمّا فرغوا أمر بجمعهم، وأخذ من كلّ واحد أربعين درهماً، وفي ذلك يقول الشاعر:

يـا لَـقَومي مـا لَـقِينا ... مِـنْ أَمـيرِ الْـمُؤْمِنينا
قَسَّـمَ الخَـمْسةَ فِـينا ... وَجَبانا الأَرْبَعِينا»[٣]

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ٣٥٥. تاريخ الخلفاء: ٢٦١.
(٢) مختصر تاريخ الأدب: ١٨٤.
(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٢٩٨. البداية والنهاية: ١٠: ١٢١.

وكان يحاسب العمّال ولو كان بقدر الدانق والحبّة[١]، وقد عرضنا في كتابنا (حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) لصورة مفصّلة لشحّه وبخله على نفسه وعياله.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي ابْتَلاهُ بِفَقْرِ نَفْسِهِ فِي مُلْكِهِ**»[٢].

ترويع المدنّيين

قابل المنصور أهالي المدينة بالعنف والاضطهاد، فقطع عنهم الميرة في البرّ والبحر[٣].

وولّى عليهم رياح بن عثمان المرّي، وكان فظّاً غليظاً، وحينما تسلّم السلطة خطب في أهل المدينة قائلاً: «يا أهل المدينة، أنا الأفعى ابن الأفعى، ابن عثمان ابن حيّان، وابن عمّ مسلم بن عقبة، المبيد خضراءكم، والمفني رجالكم، والله لأدعها بلقعاً لاينبح فيها كلب»[٤].

أرأيتم هذا الطغيان الفاجر والاستهتار بكرامة الناس، فقد أعرب عن سياسته التي تحمل البطش والدمار وإخلاء المدينة من أهلها، ولم ينه الطاغية كلماته حتّى انبرى جمع من الأحرار فردّوا عليه بأعنف القول قائلين له: يابن المجلود حدّين، لتكفّنّ أو لنكفّنّك عن أنفسنا.

ورفع الطاغية إلى سيّده المنصور رسالة عرّفه بخروج المدنيّين عن الطاعة،

---

(١) المجدي: ١٦١.

(٢) الفخري: ١١٥.

(٣) الكامل في التاريخ: ٥: ٢٦١.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ١: ٢٦٢.

وتمرّدهم على الحكم، ولمّا اطّلع المنصور على رسالة عامله كتب لأهل المدينة رسالة جاء فيها: «يا أهل المدينة، إنّ واليكم كتب إليَّ يذكر غشّكم وخلافكم، وسوء رأيكم، واستمالتكم على بيعة أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدّلنّكم بعد أمنكم خوفاً، وليقطعنّ البرّ والبحر عنكم، وليبعثنّ عليكم رجالاً غلاظ الأكباد، وبعاد الأرحام، بنو[1] قعر بيوتكم، يفعلون ما يؤمرون، والسلام».

وقرأ الوالي عليهم هذه الرسالة، فاندفع جماعة من الأحرار إلى معارضته وصاحوا به: كذبت يابن المجلود حدّين.

ثمّ قذفوه بالحصا، فولّى منهزماً إلى مقصورته فأغلقها عليه خوفاً ورعباً منهم، وأشار عليه بعض أعوانه بالتنكيل بالثائرين، وأشار عليه هاشمي بعدم الاعتناء بمقالة هذا العبد، وأشار عليه جماعة بأن يرسل خلف الوجوه والأشراف ويعرض عليهم رسالة المنصور، فاستجاب لذلك وأرسل خلفهم، وقرأ عليهم رسالة المنصور، فانبرى حفص بن عمر الزهري وأبو عبيدة بن عبدالرحمان وقالا له: كذبت والله، ما أمرتنا فعصيناك، ولا دعوتنا فخالفناك.

ودار حديث آخر بينهما فانتقدا مقالة المنصور باستبدال أهل المدينة خوفاً بعد الأمن، وهو خلاف ما وعد الله تعالى بقوله: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[2] [3]

وهكذا عامل أهل المدينة بالقسوة والعنف، ولم يحترم جوارهم لقبر رسول

---

(١) كذا في الأصل، وفي الهامش: «ينورن»، ولعلّ الصحيح: «يثورون في قعر بيوتكم».

(٢) النور ٢٤: ٥٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٣: ١١٠ ـ ١١١.

الله ﷺ ومكانته عندهم.

اختلاسه للأموال

وجهد المنصور على إنهاك الرعيّة وإشاعة الفقر والبؤس فيها، فقد روى المؤرّخون أنّه أخذ أموال الناس حتّى ما ترك عند أحد فضلاً، فقد أخذ بغير استحقاق من الناس ثمانمائة ألف ألف درهم[١]، أي ما يعادل أربعة آلاف مليون دينار.

ومن أمثلة اختلاسه لأموال المسلمين ما جاء في وصيّته الأخيرة لولده المهدي: «إنّي قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي»[٢].

لقد جمع الأموال الهائلة في خزائنه، وقد نهبها من المسلمين وأخذها منهم بغير حلّ، فالويل له على ما اقترفه من الظلم، وترك الفقر والبؤس جاثمين على كاهل المسلمين.

استهانته بالكعبة

وانحرف المنصور عن الإسلام، فقد حاول نقل الكعبة المقدّسة إلى دار السلام، كما بنى بناية ضخمة في بغداد سمّاها بالقبّة الخضراء استهانة بالكعبة المشرّفة[٣].

وقد حكى ذلك عن كفره ومروقه عن الدين، ومن المؤكّد أنّ المنكرات التي اقترفها قد باعدت بينه وبين الإسلام.

---

(١) أبو جعفر المنصور: ٤١٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٣٤٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ١٨٨.

الفتك والاغتيال

من صفات المنصور الاغتيال والفتك بكلّ شخص يشكّ فيه، فقد اغتال جماعة من رؤوس دولته وبناة سلطانه، كان منهم:

١ ـ أبو مسلم الخراساني

لم تقم الدولة العبّاسيّة إلّا على أكتاف أبي مسلم، فهو مؤسّسها وبانيها، ولولاه لم يرفع لبني العبّاس علم، ولم يذكر لهم اسم، وقد جازاه المنصور جزاء سنمار، فاستدعاه وقابله بمزيد من الحفاوة والتكريم، وأسكنه قصراً من قصوره، ودعا رؤساء حرّاسه عثمان بن نهيك وشبيب بن واج وأبو حنيفة حرب بن قيس وقال لهم: تكونوا خلف الرواق إذا دخل أبو مسلم، فإذا صفّقت بيدي فادخلوا واقتلوه.

وأقبل أبو مسلم على عادته فأُجلس في الحجرة المجاورة، وأُخبر بأنّ المنصور في شغل فجلس، ثمّ أُذن له بالدخول، فدخل وسلّم عليه، فنظر إليه المنصور بغضب وغيظ وقال له: أخبرني تقدّمك عليّ بطريق مكّة.

- كرهت اجتماعنا على الماء فيضرّ ذلك بالناس.

وأخذ يعدّد أعماله وهو يعتذر منه ويقول له: لا يقال هذا لي بعد بلائي وما كان منّي.

فصاح به المنصور: يابن الخبيثة، والله لو كانت أمة مكانك لأجزأت إنّما عملت في دولتنا، فلو كان ذاك إليك ما قطعت فسيلاً، وأبو مسلم يعتذر منه، ولم يُجدِ معه الاعتذار وصفّق بيده، فدخل عليه الحرس وقد شهروا سيوفهم، فأخذ أبو مسلم يتوسّل إليه قائلاً: أبقني لعدوّك.

- أيّ عدوّ أعدى لي منك.

وهجم عليه الحرس فقطّعوه بسيوفهم، وأمر برمي جثّته في حوض دجلة[١].

وقد طويت بذلك حياة أبي مسلم غدراً على يد المنصور، وقد خسر آخرته بما سفكه من دماء المسلمين، وكان ذلك جزاؤه على يد المنصور.

٢ ـ عبدالله بن عليّ

هو عمّ المنصور، وقد أعطاه أماناً أن لا يفتك به بعد ما ثار عليه، ولكنّه خاس بأمانه، فدعا وليّ عهده عيسى بن موسى، وقال له: خذ إليك عبدالله بن عليّ ريثما أعود من مكّة، ولا تثقل عليه، فإنّه رحمي. وقال ذلك أمام العبّاسيّين والحاضرين، ثمّ دعاه سرّاً وقال له: يا عيسى، إنّ هذا أراد أن يزيل الخلافة عنّي وعنك، وأنت وليّ عهدي، والخلافة صائرة إليك، فخذه واضرب عنقه، وإيّاك أن تخور وتضعف، فتنقض عليّ أمري الذي دبّرت، ثمّ مضى إلى الحجّ[٢].

وشاور عيسى كاتبه يونس بن أبي فروة، وكان ذكيّاً وعارفاً بنفسيّة المنصور، فقال له: إنّ هذا الرجل قد دفع إليك عمّه علناً أمام ذويه، وأوصاك سرّاً بقتله، فهو يريد أن يقتله على يدك، ثمّ يقيّدك به فيقتلك، والرأي أن تستره في منزلك، فلا تطلع على أمره أحداً، وترسل إلى المنصور أنّك قد قتلته، فإن طالبك به علانية دفعته إليه علانية، وإيّاك أن تأتي به سرّاً[٣].

وفعل عيسى ما أشار عليه كاتبه، وشاع بين العبّاسيّين أنّه قتله عيسى وليّ عهد المنصور، فتوافد عليه العبّاسيّون وكلّموه في شأنه، فقال لهم: إنّي أعطيته أمامكم

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ٣: ٢٢٩.

(٢) و (٣) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٢٦٦.

إلى وليّ عهدي، وأوصيته به، وقد سألته فقال: قد مات، ودعا بعيسى، فلمّا مثل عنده صاح به: لِمَ قتلت عمّي ؟

- أنت أمرتني بقتله.
- لم آمرك بقتله.
- هذا كتابك إليَّ فيه.
- لم أكتبه.

ولمّا رأى الجدّ من المنصور خاف على نفسه، فقال له: هو عندي، فأمره بدفعه إلى الأزهر المهلب، فدفعه إليه وأوعز إليه بقتله، وكانت معه جارية فقتلها، وجعلهما في مكان واحد كالمعتنقين، وأمر بهدم الغرفة عليهما لإيهام العبّاسيّين أنّ السقف سقط عليهما، وأمر بدفنهما في نفس الغرفة التي قتلا فيها[1].

لقد كان الغدر وسفك الدماء من عناصر المنصور، فما أهون إزهاق النفوس عنده، وكان في سلوكه الدموي كالحجّاج بن يوسف الثقفي.

٣ـ محمّد بن أبي العبّاس

اتّخذ المنصور طبيباً نصرانيّاً يستعين به على قتل مَن لا يحبّ أن يتجاهر بقتله، وقد اغتال الطبيب جماعة من الأبرياء في وصفاته الطبيّة حسب أمر المنصور، وممّن اغتالهم محمّد بن أبي العبّاس، فقد أوعز إليه المنصور باغتياله، فصنع سمّاً قاتلاً وانتظر علّة تحدث به، فعرضت له حرارة في بدنه، فراجعه فأعطاه السمّ ولم يلبث قليلاً بعد تناوله حتّى توفّي، فاشتكت أمّه عليه عند

(١) مروج الذهب: ٣: ٢٣٠.

المنصور، فأمر بضربه ثلاثين سوطاً وسجنه أيّاماً، ثمّ أطلق سراحه ووهبه ثلاثمائة دينار[١].

لقد تجرّد المنصور من كلّ نزعة إنسانيّة، فقد كان بإمكانه أن يقابل مَن يشكّ في إخلاصه بالإحسان إليه، وجعله تحت الرقابة، ولكنّ ذلك بعيد عن نزعاته النفسيّة التي تحمل خبث جميع المجرمين.

التنكيل بالعلويّين

ومن موبقات الدوانيقي أنّه صبّ وابلاً من العذاب الأليم على السادة العلويّين، وقابلهم بمزيد من الظلم والجور، فأباد شيوخهم وشبابهم وأطفالهم، ولم يرحم أحداً منهم، وكان ما حلّ بهم من التنكيل أضعاف ما واجهوه أيّام الحكم الأموي على ما فيه من قسوة وعذاب حتّى قيل:

نَالَهُ ما فَعَلَتْ أُمَيَّةُ فِيهِمُ ... مِعْشارَ ما فَعَلَتْ بَنو الْعَبّاسِ

وصوّر دعبل الخزاعي ما حلّ بهم من الرزايا والخطوب بقوله:

وَلَيسَ حَيٌّ مِنَ الأَحياءِ نَعْلَمُهُ ... مِنْ ذي يَمانٍ ومِنْ بَكْرٍ ومِنْ مُضَرِ
إلّا وَهُمْ شُرَكاءٌ في دِمائِهِمُ ... كَما تَشارَكَ أَيْسارٌ على جَزَرِ
قَتْلٌ وَأَسْرٌ وَتَحريقٌ وَمَنْهَبَةٌ ... فِعلُ الغُزاةِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالخَزَرِ
أَرى أُمَيَّةَ مَعْذورِينَ إنْ قَتَلُوا ... وَلا أَرى لِبَني العَبّاسِ مِنْ عُذُرِ[٢]

وقد قام الطاغية المنصور بإرسال جاسوس ماهر، فلمّا أرسله إلى المدينة

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ١: ٣٧٤.

(٢) ديوان دعبل: ١٠٥.

للتعرّف على محمّد ذي النفس الزكيّة ، وزوّده بمال وكتاب على ألسنة الشيعة إلى عبدالله بن الحسن يسأله عن ابنه محمّد ، فلمّا التقى به قدّم له المال والكتاب ، وأخذ يتردّد عليه ويسأله بإلحاح عنه حتّى أخبره بمقامه ، وجرت أحداث مؤسفة ذكرناها بالتفصيل في كتابنا (حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) وهذا عرض موجز لبعض الأحداث المؤلمة التي قابل بها العلويّين :

القبض على العلويّين

وسافر الطاغية إلى الحجّ ، وبعد الانتهاء من مراسيمه قفل راجعاً إلى المدينة ، فاستقبله السادة الحسنيّون ، وفيهم عبدالله بن الحسن ، فقابله الرجس بحفاوة وتكريم ، وأجلسه إلى جنبه ، ودعا بالغذاء فأصابوا منه ، ثمّ رفع بصره إلى الجاسوس الذي كان عيناً على العلويّين ، وجلس أمام المنصور ، ففزع منه عبدالله وقال له : أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله .

فصاح به الخبيث : لا أقالني الله إن أقلتك[1] .

وأمر بتكبيله بالحديد وزجّه في السجن ، كما اعتقل جماعة من العلويّين فبقوا في السجن ثلاث سنين وهم يعانون أهوال الخطوب وأشدّها محنة وبلاء .

حملهم إلى العراق

سافر الطاغية إلى الحجّ سنة ١٤٢هـ وبعدما قضى مناسك الحجّ جعل طريقه على الربذة ، فأقام فيها واستقبله واليه على المدينة رباح ، فأمره بإشخاص العلويّين إليه ، فقفل راجعاً إلى المدينة فأخرج العلويّيين ووضع بأيديهم الحديد ،

---

(١) الكامل في التاريخ : ٤ : ٣٧١ .

وجاء بهم إلى مسجد رسول الله ﷺ للتوهين بهم، وقد ازدحم عليهم الناس وهم ما بين باكٍ وواجم، وجعل رياح يوسعهم شتماً وقذفاً، وطلب من الناس شتمهم، فجعلوا يشتمونه ويشتمون سيّده المنصور، وحملهم إلى الربذة.

وفي الطريق جيء لهم بحدّادين فألقوا كلّ رجل منهم في كبل وغلّ.

ولمّا انتهت القافلة إلى الربذة أنزل العلويّين عن رواحلهم وهم مكبّلون بالحديد تصهرهم الشمس، فأمر المنصور بإدخال محمّد بن عبدالله عليه، فلمّا مثل عنده قابله المنصور بالسبّ والشتم والقذف، وأمر الخبيث الدنس بتجريد محمّد من ثيابه، فجرّد منها حتّى بدت عورته، وأمر جلاوزته بضربه، فعلته الجلاوزة بالسياط، فضرب مائة وخمسين سوطاً، وبلغ به الألم كلّ مبلغ، والحقير الوضيع جذلان مسرور، وأصابت إحدى السياط وجهه فقال للجلّاد: اكفف عن وجهي، فإنّ له حرمة من رسول الله ﷺ.

وراح المنصور يقول للجلّاد: الرأس.. الرأس.

فضربه ثلاثين سوطاً على رأسه، ثمّ دعا بساجور[1] من خشب فشدخ عنقه وشدّت به يداه، وأُخرج وقد غيّرت السياط لونه، وسال دمه، وأصاب سوط إحدى عينيه فسالت، واستدعى وهو بتلك الحالة ماء، فلم يسقه أحد سوى رجل من خراسان، فسقاه الماء، وراح عبدالله بن الحسن يذكّر المنصور وما أسداه جدّه رسول الله ﷺ على جدّهم العبّاس الذي كان في قافلة المحاربين للنبيّ ﷺ في يوم بدر، فعفا عنه النبيّ ﷺ، فأشاح المنصور بوجهه عنه، وأمر بحملهم إلى العراق.

---

(١) **الساجور**: خشبة تعلّق بعنق الكلب.

في الهاشميّة

وأخذت قافلة العلويّين تطوي البيداء حتّى انتهت إلى الهاشميّة، فأمر المنصور بزجّهم في سجن لا يعرف فيه الليل من النهار، فكانوا لا يعرفون أوقات الصلاة لظلمته، فجزّأوا القرآن الكريم خمسة أجزاء، فكانوا يصلّون الصلاة على فراغ كلّ واحد منهم لحزبه[١].

وأمر الخبيث الدنس بإحضار محمّد بن إبراهيم وكان آية في جماله، وكان الناس يذهبون إلى النظر لحسنه، ولمّا مثل عنده قال له: أنت المسمّى بالديباج الأصفر؟

- نعم.
- أما والله لأقتلنّك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك.

وأمر الرجس باسطوانة مبنيّة ففرّغت، وأُدخل فيها ثمّ بنيت عليه وهو حيّ[٢].

ففي ذمّة الله ما لاقاه السادة من هذا الفاجر من صنوف التعذيب والظلم وما لم يفعله الطغاة مثله.

وبلغ من قسوة شرطته أنّ عبدالله بن الحسن سيّد العلويّين استدعى ماءاً فطلب بعض شرطته السماح لسقايته، فسمح له، وبينما هو يشرب إذ وثب إليه خبيث فضرب الإناء برجله، فألقى عبدالله ثناياه في الإناء[٣].

وبقي السادة في سجن المنصور وهم يعانون أشقّ التعذيب وأقساه، فكانوا

---

(١) مروج الذهب: ٣: ٢٢٥.
(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٣٩٨.
(٣) مقاتل الطالبيّين: ٢٤٣.

يتوضّأون في موضعهم حتّى اشتدّت عليهم الرائحة، واحتال بعض مواليهم فأدخل عليهم الغالية، فكانوا يدفعون بشمّها الروائح الكريهة، ولكنّها لم تجد شيئاً، فقد ورمت أقدامهم وقلوبهم حتّى مات أكثرهم، وأمر الفاجر بهدم السجن على مَن بقي منهم، وكان فيهم عبدالله بن الحسن[1].

لقد انتهك الطاغية الفاجر حرمة النبيّ ﷺ في ذرّيّته وأبنائه، فلم يرع فيهم حرمته التي هي أوْلى بالرعاية من كلّ شيء.

وقد أثارت فاجعتهم سخط المسلمين، وقال في هجائه وهجاء العبّاسيّين أبو فراس الحمداني:

بِئسَ الجزاءُ جَزَيتُمْ في بَنِي حَسَنٍ ... أَبـاهُمُ العَـلَمَ الهـادِي وَأُمَّـهُمُ
لا بَـيعةٌ ردَعَـتْكُمْ عَـنْ دِمـائِهِمُ ... وَلا يَـمِينٌ وَلا قُـرْبىٰ وَلا ذِمَـمُ
هَلّا صَفَحْتُمْ عَنِ الأَسْرىٰ بِلا سَبَبٍ ... لِـلصافِحينَ بِـبَدْرٍ عَـنْ أَسِيرِكُمُ
هَـلّا كَفَفْتُمْ عَـنِ الدِّيباجِ سَوطَكُمُ ... وَعَـنْ بَنـاتِ رَسُـولِ اللهِ شَتمَكُـمُ
مـا نُـزِّهَتْ لِـرسولِ اللهِ مُـهْجَتُهُ ... عَـنِ السِّـياطِ فَـهلّا نُـزِّهَ الحَـرَمُ
ما نالَ مِنهُمُ بَنو حَرْبٍ وَإِنْ عَظُمَتْ ... تِـلكَ الجَـرائِـرُ إِلّا دونَ نَـيْلِكُمُ
كَمْ غَدْرةٍ لَكُمُ في الدِّيـنِ واضِـحَةٍ ... وَكَـمْ دَمٍ لِـرَسولِ اللهِ عِـنْدَكُـمُ
أَنْـتُمْ لَـهُ شِـيعةٌ فِـيما تَـرَوْنَ وَفـي ... أَظـفارِكُمْ مِـنْ بَـنيهِ الطّاهِرينَ دَمُ
هَيهـاتَ لا قُرِّبَتْ قُـربىٰ ولا رَحِـمٌ ... يَوماً إِذا أَقْصَتِ الأَخـلاقُ وَالشِّـيَمُ
كـانَتْ مَـوَدَّةُ سَـلْمانٍ لَـهُ رَحِـماً ... ولَمْ يَكُنْ بَينَ نُوحٍ وَابْـنِهِ رَحِـمُ[2]

---

(١) مروج الذهب: ٣: ٢٢٥.

(٢) موسوعة الغدير: ٣: ٢٣٨.

ولم يُبق المنصور لوناً من ألوان الظلم إلّا صبّه على السادات العلويّين ، وإنّ حسابه فيما اقترفه معهم لعظيم عند الله.

ثورة محمّد وإبراهيم

تحدّثنا عن ثورة السيّدين الزكيّين محمّد وأخيه إبراهيم في الجزء الأوّل من كتابنا (حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) ولم يسع بدني الذي تناهبته الأمراض ذكر ذلك ، ولكن نعرض إلى المآسي التي لاقاها العلويّون بعد قضاء المنصور عليهما.

مصادرة أموال العلويّين

وصادر المنصور جميع أموال العلويّين ، كما أمر ببيع أرقائهم[١] ، وصادر أموال الإمام الصادق عليه السلام ، ولمّا هلك المنصور أرجعها المهدي إلى الإمام موسى عليه السلام[٢].

وضعهم في الاسطوانات

ولمّا خمدت ثورة العلويّين جعل المنصور يطلب من بقي منهم طلباً حثيثاً ، فمن ظفر به جعله في الاسطوانات المجوّفة المبنيّة من الجصّ والآجر يوضع فيها ويبنى عليه ، وظفرت جلاوزته بغلام من ولد الحسن ، وكان جميلاً ، فأمر بتسليمه إلى البنّاء ليجعله في جوف اسطوانة ويبني عليه ، ووكّل به رقيباً مخافة أن لا يفعل ، ولمّا تسلّمه جعله في جوف اسطوانة ، فأخذته الرقّة عليه ، فترك له منفذاً ليدخل منه الهواء ، وقال للغلام: لا بأس عليك ، فإنّي سأُخرجك

---

(١) البداية والنهاية : ١٠ : ٨١.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : ١ : ٤٢٣.

في جوف الليل.

ولمّا جنّ الليل أخرجه وأوصاه أن يواري نفسه خوفاً على دمه ودم العمّال، وطلب الغلام منه أن يخبر أُمّه بسلامته لتطيب نفسها، وهرب الغلام ولم يعلم بأي أرض أقام فيها، ومضى البنّاء إلى الدار، فسمع صراخ العلويّات، فأسرّ أُمّه بسلامة ولدها[1].

خزانة رؤوس العلويّين

ومن جرائم المنصور أنّه أقام خزينة جعل فيها رؤوس العلويّين، وجعل رقعاً في آذانهم سجّل فيها أسماءهم، وأوصى ريطة زوجة ولده بعدم فتح الخزينة إلّا بعد التأكّد من موته، وهذه الرواية قد رواها الطبري، وهذا نصّها:

«لمّا عزم المنصور على الحجّ دعا ريطة بنت أبي العبّاس امرأة المهدي، وكان المهدي بالريّ قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وتقدّم إليها وأحلفها ووكّد الأيمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، ولا تُطلع عليها أحداً إلّا المهدي، إلّا أن يصحّ عنها موته، فإذا صحّ ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما أحد حتّى يفتحا الخزانة.

فلمّا قدم المهدي من الريّ إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنّه تقدّم إليها ألّا يفتحها ولا يُطلع عليها أحداً حتّى يصحّ عندها موته.

فلمّا انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة، فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيّين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال وشباب ومشايخ عدّة كثيرة.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٧: ٣٠٦ و ٣٠٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١١١.

فلمّا رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وعمل فوقها دكّاناً»[١].

لقد احتفظ المنصور برؤوس أبناء النبيّ ﷺ ليدّخرها إلى قبره يوم يعضّ الظالم على يديه، إنّه يوم الفصل الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون.

استرحام العلويّين

وراح العلويّون يسترحمون هذا الطاغية من عذابه، إلّا أنّه لم تحرّكه العواطف الإنسانيّة ولا الرحم للصفح عنهم، وكان من المسترحمين ابنة عبدالله بن الحسن، فقد انطلقت وهو يسير في موكبه وتلت عليه هذه الأبيات الرقيقة:

ارحَمْ صِغارَ بَني يَزيدٍ إنَّهُمْ ... يُتِموا لِفَقدِكَ لا لِفَقدِ يَزيدِ

وَارحَمْ كَبيراً سِنُّهُ مُتَهَدِّماً ... في السِّجنِ بَينَ سَلاسِلَ وَقُيودِ

وَلَئِنْ أَخَذْتَ بِجُرمِنا وجَزَيتَنا ... لَنُقَتَّلَنَّ بِهِ بِكُلِّ صَعيدِ

إنْ جُدْتَ بِالرَّحِمِ الْقريبَةِ بَيننا ... ما جَدُّكُم مِنْ جَدِّنا بِبَعيدِ[٢]

ولم يحرّك ضميره العفن هذا الاستعطاف، فقال: «اذكرتنيه يا بنت عبدالله». ثمّ أمر، فأُهدر في المطبق، فلفظ فيه أنفاسه الأخيرة[٣].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٣٤٣ و ٣٤٤.

(٢) جاء في تذكرة الخواصّ: ٢٣٠: «أنّ قول فاطمة بنت عبدالله: وارحم صغار بني يزيد، إنّما وقع من فلتات لسانها، إذ لم يكن لعبدالله بن الحسن ابن اسمه يزيد، ولا يعرف في آل أبي طالب من اسمه يزيد، إلّا يزيد بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، وقد أنكر عليه بنو هاشم وهجروه لأجل ما سمّي به».

(٣) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ١: ٤١١.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن رؤوس الظالمين الذين عاثوا في الأرض فساداً، وهم رموز السياسة الظالمة، ولم يكن الدوانيقي آخرهم، فقد سار أحفاده وأبناؤه على هذا الخطّ في ظلم الناس، خصوصاً السادة العلويّين.

وقد انتهى هذا الكتاب في الساعة الخامسة صباحاً من شهر ذي الحجّة سنة ١٤٣١هـ، والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

مَصَادِرُ الكِتَابِ

١ ـ **الإدارة الإسلاميّة في عزّ العرب** : محمّد كرد علي
مطبعة مصر ـ القاهرة / ١٩٢٤م.

٢ ـ **أسباب النزول** : الواحدي
أبي الحسن عليّ بن أحمد النيسابوري (ـ ٤٦٨هـ) ، تعليق وتخريج : مصطفى ديب البُغا ، دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣ ـ **الاستيعاب** : ابن عبدالبرّ
أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد القرطبي (٣٦٣ ـ ٤٦٣ ق) ، تحقيق وتعليق : علي محمّد معوض وعادل أحمد ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، (٤ مجلّدات).

٤ ـ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة** : ابن الأثير الجَزري
عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد بن أبي الكرم (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) ، اعتنى بتصحيحها : عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، طبعة جديدة مصحّحة الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م (٧ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٥ ـ **الإصابة في تمييز الصّحابة** : ابن حجر العسقلاني

الحافظ أبو الفضل أحمد بن عليّ (٧٣٣ ـ ٨٥٢هـ) ، دراسة وتحقيق : عادل أحمد وعلي محمّد معوّض ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م (٨ مجلّدات) .

٦ ـ الأغاني : أبو الفرج الاصفهاني

عليّ بن حسين بن محمّد (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

٧ ـ الأمالي : الشيخ المفيد

أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) ، تحقيق : علي أكبر غفّاري ، الناشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة ، ط . الخامسة / ١٤٢٥هـ.

٨ ـ أنساب الأشراف : البلاذري

أحمد بن يحيى بن جابر (ـ ٢٧٩هـ) ، دار الفكر ، بيروت / ١٤١٧هـ.

٩ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار : العلّامة المجلسي

محمّدباقر بن محمّد تقي (١٠٣٧ ـ ١١١١هـ) ، الناشر : دار الرضا ـ بيروت / ١٩٨٨م .

١٠ ـ البداية والنهاية في التاريخ : ابن كثير

الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ) ، تحقيق : أحمد عبدالوهاب ، دار الحديث ـ القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، (١٤ جزءاً في ٧ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

١١ ـ تاريخ ابن خلدون : ابن خلدون

عبدالرحمن بن محمّد بن خلدون الحضرمي (٧٣٢ ـ ٨٠٨ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٦م.

١٢ ـ تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر : أبو الفداء

عماد الدين إسماعيل بن عليّ (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ) ، دار صادر ـ بيروت /١٩٨٢م.

١٣ ـ تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : الذهبي

أبو عبدالله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عُثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨ق) ، دار الكتاب ـ بيروت /١٩٩٥م.

١٤ ـ تاريخ الأُمم والملوك = تاريخ الطبري : الطبري

أبو جعفر محمّد بن جرير (٢٢٤؟ ـ ٣١٠هـ) ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

١٥ ـ تاريخ الخلفاء : السيوطي

جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الشافعي (٩١١هـ).

١٦ ـ تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر

الحافظ أبي القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ) ، تحقيق : علي شيري ، الناشر : دار الفكر ـ بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، (٧٠ مجلّداً).

١٧ ـ تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي

أحمد بن إسحاق (٢٧٨هـ) ، دار صادر ـ بيروت /١٩٨٤م.

١٨ ـ تذكرة الخواصّ من أُمّة بذكر خصائص الأئمّة : سبط ابن الجوزي

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (٦٥٤هـ) ، منشورات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة ، الطبعة

الأولى / ١٤١٨هـ.

١٩ ـ تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم : ابن كثير الدمشقي

الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٧٧٤هـ) : تعليق : محمّد حسين شمس الدّين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، (٨ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٢٠ ـ تفسير القرطبي =الجامع لأحكام القرآن : القرطبي

أبو عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ) ، تعليق محمّد إبراهيم الحفناوي ، دار الحديث ـ القاهرة ، الطبعة الأُولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلّدات + مجلّدا الفهارس .

٢١ ـ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدن : الصفدي

خليل بن ايبك (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ) ، المكتبة العصريّة ـ بيروت /١٤١٩هـ.

٢٢ ـ تهذيب الأحكام في شرح المقنعة : شيخ الطائفة

أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق : محمّد جعفر شمس الدين ، الناشر دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٢٣ ـ تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني

الحافظ شهاب الدين أحمد بن عليّ (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ١٢ مجلّداً + مجلّدا الفهارس .

٢٤ ـ تيسير الوصول إلى جامع الأُصول : الزبيديّ

ابن الديبع عبدالرحمن الزبيدي الشيباني، مصطفى البابي الحلبيّ، مصر /١٩٢٤م.

٢٥ ـ الثقات: ابن حبّان

الحافظ محمّد بن حبّان بن أحمد بن حبّان أبو حاتم التميمي السبتي السجستاني (ت ٣٥٤هـ) التميمي، مطبعة المجلس، دائرة المعارف العثمانيّة، الطبعة الأُولى /١٩٧٥م.

٢٦ ـ جامع السعادات: النراقي

محمّد مهدي بن أبي ذرّ (١١٢٨ ـ ١٢٠٩هـ) تعليق: السيّد محمّد كلانتر، الناشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

٢٧ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: السيوطي

جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى /١٤٠١هـ.

٢٨ ـ جواهر المطالب: الباعوني

محمّد بن أحمد الشافعي (٨٧١هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة ـ قم المقدّسة /١٤١٥هـ.

٢٩ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الاصفهاني

الحافظ أحمد بن عبدالله (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ)، دار الكتاب ـ بيروت /١٩٨٠م.

٣٠ ـ حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: القرشي

باقر شريف (١٩٢٦م)، (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) الناشر: دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣١ ـ حياة الحيوان الكبرى : الدميري
محمّد بن موسى (٧٤٢ ـ ٨٠٨هـ) ، الشريف الرضي ـ قم المقدّسة /١٣٦٨هـ.

٣٢ ـ الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور : السيوطي
جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) : تصحيح وتخريج الأحاديث : الشيخ نجدت نجيب ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م (٨ مجلّدات).

٣٣ ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : المدني
صدرالدين السيّد علي خان بن أحمد الشيرازي الحسيني (١٠٥٢ ـ ١١٢٠هـ؟) : الناشر مكتبة بصيرتي ـ قم المقدّسة ، ط . الثانية /١٣٩٧هـ.

٣٤ ـ ديوان الحطيئة : العبسيّ
جرول بن أوس ، اعتناء وشرح : حمد وطّاس ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية /٢٠٠٥م.

٣٥ ـ ديوان دعبل بن علي الخزاعي : دعبل الخزاعي
(١٤٨ ـ ٢٤٦هـ) ، الشريف الرضي ـ قم المقدّسة /١٤١٧هـ.

٣٦ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : محبّ الدين الطبري
أبو العبّاس أحمد بن عبدالله بن محمّد المكّي (٦١٥ ـ ٦٩٤ ق) ، تحقيق وتعليق : أكرم البوشي ، مكتبة الصّحابة ـ جدّة ، الطبعة الأُولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٣٧ ـ الذهب المسبوك في ذكر مَن حجّ من الخلفاء والملوك : المقريزي
تقيّ الدين أحمد بن علاء (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ) ، لجنة التأليف ـ

القاهرة /١٩٥٥م.

٣٨ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: الزمخشري

محمود بن عمر (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ)، دار الذخائر ـ قم المقدّسة /١٤١٠هـ.

٣٩ ـ رسائل الجاحظ:

عمرو بن بحر، أبو عثمان (٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، السنّة المحمّديّة ـ القاهرة، الطبعة الأولى / ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م.

٤٠ ـ روح الإسلام: أمير عليّ

(١٨٤٩ ـ ١٩٢٨م)، دار إحياء التراث ـ بيروت / ١٩٦١م.

٤١ ـ سبل الهدى والرشاد: شمس الشامي

محمّد بن يوسف الصالحي الشافعي (٩٤٢هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ عليّ محمّد معرض، الناشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٤٢ ـ سنن أبي داود: الحافظ أبو داود السجستاني

سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ)، تحقيق: سعيد محمّد اللّحّام، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٤٣ ـ السيرة الحلبية: الحلبي

أبو الصلاح تقي بن نجم (٣٧٤ ـ ٤٤٧هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٣م.

٤٤ ـ السيرة النبويّة: ابن هشام

أبو محمّد عبد الملك بن هشام المعافري (٢١٨هـ)، تحقيق

مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي ، دار المعرفة ـ بيروت.

٤٥ ـ الشافي في الإمامة : الشريف المرتضى

السيّد علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ) ، تحقيق : عبدالزهراء الحسيني الخطيب ، الناشر : مؤسّسة الصادق للطباعة والنشر ـ طهران ، الطبعة الثانية / ١٤١٠هـ.

٤٦ ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار : ابن جبون

الناشر : مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٤٧ ـ شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد

عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين المدائني المعتزلي (٥٨٦ ـ ٦٥٥هـ) ، قدّم له وعلّق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، الناشر : مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٨ ـ صحيح البخاري : البخاري

أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) ، ضبطه ورقّمه : الدكتور مصطفى ديب البُغا ، دار ابن كثير ـ دمشق ودار اليمامة ـ دمشق . الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (٦ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٤٩ ـ الطبقات الكبرى : ابن سعد الواقدي

محمّد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ) ، تحقيق : محمّد عبد القادر عَطا ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م (٨ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٥٠ ـ **العقد الفريد**: ابن عبدربّه

أبو عمر أحمد بن محمّد الأندلسي (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٩م.

٥١ ـ **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**: ابن عنبة

السيّد جمال الدين أحمد الحسني ، نشر المطبعة الحيدرية ، النجف / ١٣٨٠هـ.

٥٢ ـ **عيون أخبار الرضا**عليه السلام : الصدوق

أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (ت ٣٨١هـ) : تحقيق : الشيخ حسين الأعلمي ، نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٤هـ.

٥٣ ـ **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب**: العلّامة الأميني

عبدالحسين (١٢٨١ ـ ١٣٤٩هـ) ، تحقيق ونشر : مركز الغدير للدراسات إسلاميّة ، قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٥٤ ـ **الفتنة الكبرى**: طه حسين

(١٨٨٩ ـ ١٩٧٣هـ) ، المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة /١٩٩١م.

٥٥ ـ **الفتوح**: ابن أعثم الكوفي

محمّد بن عليّ (ـ ٣١٤ق) ، علمي فرهنگی ـ طهران /١٣٧٤ش.

٥٦ ـ **فتوح البلدان**: البلاذريّ

أحمد بن يحيى بن جابر ، أبو الحسن (ولد سنة ٢٠٠) ، المطبعة المصريّة ـ القاهرة ، الطبعة الأُولى /١٩٣٢م.

٥٧ ـ **الفخري في أنساب الطالبيّين**: المروزي

إسماعيل بن الحسين المروزي الأزورقاني ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

٥٨ ـ القاموس المحيط : الفيروزآبادي

أبو طاهر مجدالدين محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم (٧٢٩ ـ ٨١٧هـ) : تقديم وتعليق : الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٥٩ ـ الكامل في التاريخ : ابن الأثير الشيباني

عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن محمّد بن أبي الكرم (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م.

٦٠ ـ كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال : المتّقي الهندي

علاء الدين عليّ بن حسام الدين البرهان (٨٨٨ ـ ٩٧٥هـ) ، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت /١٩٩٣م.

٦١ ـ لسان العرب : ابن منظور الأفريقي المصري

جمال الدين أبو الفضل محمّد بن مكرم بن عليّ بن أحمد الأنصاري (٦٣٠ ـ ٧١١هـ) ، تنسيق وتعليق : علي شيري ، دار صادر ـ بيروت /١٩٩٥م.

٦٢ ـ المجدي في أنساب الطالبيّين : العلوي العمري

نجم الدن أبو الحسن عليّ بن محمّد العلوي العمري ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي قدس سره ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

٦٣ ـ مجمع الأمثال : الميداني

أبو الفضل أحمد بن محمّد النيسابوري (ت ٥١٨هـ) ، الناشر : دار الجيل ـ بيروت.

٦٤ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي

أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل (٤٦٨؟ ـ ٥٤٨هـ) ، تحقيق : السيّد هاشم الموسوي المحلّاتي والسيّد

فضل الله اليزدي الطباطبائي، الناشر دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية /١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٦٥ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي

الحافظ نورالدين عليّ بن أبي بكر (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ): الناشر دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦٦ ـ مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: البستاني

محمود، مهر ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى /١٣٨١هـ.

٦٧ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعوديّ

أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ـ ٣٥٤هـ)، منشورات دار الهجرة ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

٦٨ ـ مسند أحمد بن حنبل: ابن حنبل

أبو عبدالله أحمد بن محمّد الشيباني (١٦٤ ـ ٢٤١هـ)، دار الجيل ـ بيروت /١٩٩٤م.

٦٩ ـ المعارف: ابن قتيبة الدينوري

أبو محمّد عبدالله بن مسلم، دار الكتب العلميّة، بيروت / ١٤٠٧هـ.

٧٠ ـ المعجم الكبير: الطبراني

أبو القاسم سليمان بن أحمد (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٩٦م.

٧١ ـ معجم البلدان: ياقوت الحموي

شهاب الدين أبو عبدالله الرومي البغدادي (٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٩٩هـ.

٧٢ ـ مقاتل الطالبيّين: أبو الفرج الأصفهاني

عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد (٣٥٦هـ)، نشر مكتبة

الشريف الرضي ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٧٣ ـ مقتل الحسين عليه السلام : الخوارزمي

الموَفّق بن أحمد المكّي أخطب خوارزم (٤٨٤؟ ـ ٥٦٨هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد السماوي ، دار أنوار الهدى ـ قم ، الطبعة الأُولى / ١٤١٨هـ.

٧٤ ـ مناقب آل أبي طالب : ابن شهرآشوب

أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن عليّ السروي المازندراني (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ) ، ذو القربى ـ قم المقدّسة /١٤٢١هـ.

٧٥ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : الأتابكي

أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (٧٨٤هـ) ، دار الكتب المصريّة ـ القاهرة ، الطبعة الأُولى /١٩٢٩م.

٧٦ ـ النزاع والتخاصم : المقريزي

تقي الدين أحمد بن مكّي (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ).

٧٧ ـ نهج البلاغة : مجموع ما اختاره الرضي من كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

تحقيق د. صبحي الصالح ، دار الأُسوة التابع لمنظمة الأوقاف ـ طهران ، الطبعة الثانية / ١٤١٨هـ

٧٨ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلّكان

أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خَلّكان (٦٨١هـ) ، ط. نشر دار صادر ـ بيروت / ١٣٩٨م.

٧٩ ـ وقعة صفّين : نصر بن مزاحم

المنقري (ـ ٢١٢هـ) ، مكتبة المرعشي رحمه الله ـ قم المقدّسة / ١٤١٨هـ.

٨٠ ـ الولاة والقضاة : الكندي

أبو عمر محمّد بن يوسف

مُحتويات الكتاب

كلمة المحقّق ٧

تقديم ٩

سياسة العدل

١٥ ـ ٤١

قيمة الحكم ١٧

كراهته للمهرجانات الشعبيّة ٢٠

الإمام قدوة ٢١

المواساة للرعيّة ٢٢

المساواة ٢٣

المساواة في الحقوق ٢٣

المساواة في العطاء ٢٣

مع عقيل ٢٤

مع الحسن والحسين عليهما السلام ٢٧

مع عبدالله بن جعفر ٢٨

كيفيّة الحديث مع الإمام عليه السلام ٢٨

إنصاف الناس ٢٩
الرحمة والحبّ للرعيّة ٣٠
إرضاء العامّة ٣١
منع التفاخر بالآباء ٣٣
الصراحة والصدق ٣٣
الحرّيّة ٣٥
تنمية الاقتصاد ٣٦
زيادة الانتاج الزراعي ٣٧
التجارة ٣٧
الرقابة على السوق ٣٧
مراقبة الولاة والعمّال ٣٨
مع عثمان بن حنيف ٣٩

سياسة الظلم

٤٣ ـ ١٢٢

سياسة الأمويّين ٤٥
عثمان بن عفّان ٤٥
سياسته الماليّة ٤٦
١ ـ الحكم بن أبي العاص ٤٦
٢ ـ الحارث بن الحكم ٤٧
٣ ـ أبو سفيان ٤٧
٤ ـ الوليد بن عقبة ٤٧

٥ ـ سعيد بن العاص ٤٨
٦ ـ مروان بن الحكم ٤٨
منحه للأعيان ٥٠
١ ـ طلحة بن عبيد الله ٥٠
٢ ـ الزبير بن العوّام ٥٠
٣ ـ خباب بن الأرت ٥٠
٤ ـ زيد بن ثابت ٥١
٥ ـ حسّان بن ثابت ٥١
إقطاع الأراضي ٥١
ولاته وعمّاله ٥٤
١ ـ سعيد بن العاص ٥٤
٢ ـ عبدالله بن عامر ٥٧
٣ ـ الوليد بن عقبة ٥٩
٤ ـ عبدالله بن سعد ٦٣
٥ ـ معاوية بن أبي سفيان ٦٥
الناقمون على عثمان وتنكيله بهم ٦٦
١ ـ **عمار بن ياسر** رضي الله عنه ٦٧
٢ ـ **أبو ذر الغفاري** رضي الله عنه ٧١
اعتقاله في الشام ٧٢
اعتقاله في الربذة ٧٥
كلمة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ٧٦
كلمة الإمام الحسن عليه السلام ٧٧

كلمة الإمام الحسين عليه السلام ٧٧
كلمة أبي ذرّ رضي الله عنه ٧٨
كلمة عمار بن ياسر رضي الله عنه ٨٠
٣ ـ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ٨١
الثورة على عثمان ٨٣
١ ـ الوفد المصري ٨٤
٢ ـ الوفد الكوفي ٨٤
٣ ـ الوفد البصري ٨٤

الدولة الأمويّة ٨٦
معاوية بن أبي سفيان ٨٦
التمرّد على حكومة الإمام عليه السلام ٨٦
حكومة معاوية ٨٧
سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٨٧
إعدام وجوه الشيعة ٨٨
قطع الأيدي والأرجل ٨٨
هدم دور الشيعة ٨٨
منع عطيّاتهم ٨٨
عدم قبول شهادتهم ٨٨
وضع الأحاديث ٨٩
يزيد بن معاوية ٩٠
إبادة العترة الطاهرة ٩٠

واقعة الحرّة ٩١
حصار الكعبة ٩٢
هلاك الطاغية ٩٢
نهاية حكم آل أبي سفيان ٩٢
مروان بن الحكم ٩٤
عبدالملك بن مروان ٩٥
تنصيبه للحجّاج ٩٥
محنة العراق بحكمه ٩٦
محنة الشيعة ٩٧
عدد مَن قتلهم ٩٨
سجونه ٩٨
استهانته بالنبيّ ﷺ ٩٩
هلاك عبدالملك ١٠١

الدولة العبّاسيّة ١٠٣
السفّاح ١٠٣
هلاك السفّاح ١٠٤
المنصور الدوانيقي ١٠٦
البخل ١٠٧
ترويع المدنّيين ١٠٨
اختلاسه للأموال ١١٠
استهانته بالكعبة ١١٠

الفتك والاغتيال ١١١
١ ـ أبو مسلم الخراساني ١١١
٢ ـ عبدالله بن عليّ ١١٢
٣ ـ محمّد بن أبي العبّاس ١١٣
التنكيل بالعلويّين ١١٤
القبض على العلويّين ١١٥
حملهم إلى العراق ١١٥
في الهاشميّة ١١٧
ثورة محمّد وإبراهيم ١١٩
مصادرة أموال العلويّين ١١٩
وضعهم في الاسطوانات ١١٩
خزانة رؤوس العلويّين ١٢٠
استرحام العلويّين ١٢١

مَصَادِرُ الكِتَابِ ١٢٣
مُحْتَوَيَاتُ الكِتَابِ ١٣٥